الصدق سرّ السعادة

بطاقة الفهرسة

العتبة الحسينيّة (العراق). مؤسّسة الخُلُق العظيم، مؤلّف.

الصدق سرّ السعادة/ تأليف: مؤسّسة الخُلُق العظيم. ـ الطبعة الأولى. ـ النجف، العراق: العتبة الحسينيّة المقدّسة، مؤسّسة الخُلُق العظيم، ٢٠٢١ / ١٤٤٣ للهجرة.

١٩٨ صفحة؛ ٢١ سم. ـ (العتبة الحسينيّة المقدّسة؛ ٩٥٢)، (مؤسسة الخُلُق العظيم؛ ٩)، (الفضائل والرذائل؛ ٢).

يتضمّن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٨٣ ـ ١٩٣).

١. الصدق (أخلاق إسلاميّة). ٢. الأخلاق الإسلاميّة.

أ. الجعفري، إسكندر، مؤلّف. ب. الساعدي، زياد، مؤلّف. ج. العنوان.

رقم التصنيف LC: BJ1291 .J33 2021

تمّت الفهرسة في قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة في العتبة الحسينيّة المقدّسة قبل النشر.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٨٤) لسنة (٢٠٢٢م)

الصدق سرّ السعادة

لجنة التأليف
الشيخ إسكندر الجعفري
الشيخ زياد الساعدي

الإشراف العلمي
اللجنة العلمية في مؤسسة الخوئي العظمى
الإصدار ٩

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأُولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

الإصدار

مؤسسة الخلق العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هوية الكتاب

- عنوان الكتاب: الصدق سرّ السعادة
- المؤلّف: مؤسّسة الخُلُق العظيم
- الإشراف العلمي: اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخُلق العظيم
- الناشر: العتبة الحسينيّة المقدّسة
- تقويم النصّ: نجم الويس
- الإخراج الفنّي: محمّد شوكت
- الطبعة: الأُولى
- المطبعة: دار المؤمن
- سنة الطبع: ١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م
- عدد النسخ: ٥٠٠

كلمة المؤسّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد؛ فقد كانت الأخلاق ولا تزال هاجساً مهمّاً؛ يشغل مساحةً واسعةً من الفكر الإنساني على اختلاف اتجاهاته ومصادره المعرفيّة، وقد اشتركت في حمل هذا الهمّ الكبير مختلفُ المدارس الفكريّة والديانات والحضارات، وسعت إلى معالجته وفق رؤاها المتفاوتة ومبانيها المختلفة. ويدلّل هذا الاهتمام البالغ على حقيقة في غاية الأهميّة، تفيد أنّ الجانب الأخلاقي لدى أبناء البشر عصيٌّ على الإهمال والتجاهل، وأنّ أيّ محاولة لتجاهل هذا البُعد المحوري والفطري، أو التغافل عنه ليست إلّا محاولة لضبط بركانٍ هائج، أو السيطرة على ثورة عارمة في أعماق الإنسان تسوقه إلى ما يرى فيه خيره وسعادته وكماله، وهذا ما يدعو إلى التوقّف عند هذا الميل الفطري الجارف نحو الأخلاق؛ للإحاطة به والتعرّف على دقائقه وخفاياه، والسعي لمعالجته نظريّاً وعمليّاً.

إنّ التأمّل في ما تعيشه البشريّة ـ اليوم ـ من أزمات مختلفة على مستوى المجتمعات والأفراد يؤكّد حقيقةً مهمّةً؛ وهي أنّ قسطاً كبيراً من تلك الأزمات يعود إلى وجود فراغات كبيرة في المجال الأخلاقي، أخذت تنعكس سلباً على

الجانبين الروحي والسلوكي للإنسان المعاصر، وقد كان لمجتمعاتنا الإسلاميّة نصيبها من تلك الأزمات المتعدّدة الجوانب، فأثّرت بشكلٍ كبيرٍ على التراجع الأخلاقي الملحوظ، سيّما مع ملاحظة مدى التعقيد الذي تتسم به التحدّيات الراهنة، وما تحمله الحياة المعاصرة من تغيّرات مهمّة، وانفتاحٍ غير مسبوقٍ على الأفكار والثقافات والأنماط السلوكيّة المختلفة في ظلّ الثورة المعلوماتيّة، والتنوّع المُذهل في وسائل الإعلام والتواصل.

لا ريب أنّ ملاحظة ما مرّ ذكره، تدعو المهتمّين بالشأن الفكري والثقافي إلى وضع الحلول المناسبة، والعمل الجادّ في سبيل مواجهة هذه الأزمات ومعالجتها على المستويين: (النظري والعملي)، من خلال التأسيس لرؤية أخلاقيّة شاملة، تقوم ـ في جانبها النظري ـ على الوعي التامّ والدقيق بطبيعة الإنسان، وأبعاده الوجوديّة، وخصائصه، وميوله، ورغباته، والعمل على إحياء القيم والفضائل الأخلاقيّة ـ في الجانب العملي ـ بشتّى الطرق والوسائل المتاحة. ولا تخفى حاجة هذا العمل المهمّ إلى جهد مؤسساتي منتظم، تتظافر فيه المساعي والخبرات في سبيل مواجهة التحدّيات، والنهوض بالواقع الأخلاقي للمجتمع المسلم. وقد سعت (مؤسسة الخُلق العظيم) لتكون السبّاقة في هذا المجال، وإليك عزيزي القارئ هذه الإطلالة السريعة عليها.

(مؤسّسة الخُلق العظيم) ودوافع تأسيسها

لقد كان الشعور بالحاجة الملحّة للعمل الجادّ في المجال الأخلاقي، من قِبَل القائمين على العمل في العتبة الحسينيّة المقدّسة، حافزاً مهمّاً لإنشاء

مؤسسة متخصّصة، ينصبّ جهدها على إحياء النهج الأخلاقي الإسلامي على المستويين: (الفكري النظري، والسلوكي العملي)، ونشره وترويجه بين أبناء المجتمع الإسلامي بطرقٍ ونشاطاتٍ مختلفة، فتمخّضت تلك الجهود المباركة عن تأسيس (مؤسسة الخُلق العظيم)، التي اشتُقّ اسمها من قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]؛ تيمّناً بما نعت به الجليلُ الأعلى نبيَّه الكريمﷺ بهذه الصفة السامية، على أمل أن تسدّ جزءاً من الفراغ الملحوظ في المجال الأخلاقي.

رؤية المؤسسة

تنطلق المؤسسة من الرؤية الإسلاميّة للأخلاق، وتتبنّى استراتيجيةً عامّةً تقوم على ثلاثة عناصر أساسيّة يمكن أن نُعبّر عنها بـ(الأُسس الميتافيزيقيّة للأخلاق)، وهي:

أوّلاً: اللّه تعالى بصفاته الكماليّة والجماليّة

تنطلق الرؤية الأخلاقيّة الإسلاميّة من مبدأ التوحيد، والإيمان بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وتبتني على أنّ الله تعالى قد أودع في الإنسان ميلاً فطريّاً يدفعه نحو الخير وتحصيل الكمال بإرادته واختياره، وتُعدّ الغاية القصوى للأخلاق هي الوصول إلى القرب الإلهي باعتباره الكمال المطلق، وتكمن

---

(١) القلم: آية٤.

السعادة الحقيقيّة للإنسان في وصوله إلى تلك الغاية والاصطباغ بصبغة الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[1]. فالله تعالى هو الموجِد للميل الأخلاقي لدى الإنسان، وهو المقصد والمبتغى الذي يجب على الإنسان التوجّه إليه في كلّ محطّات مسيرته الأخلاقيّة، وأن يكون التوجّه إلى الله عزّ وجلّ هو الروح السارية في كلّ فعّالياته الأخلاقيّة.

ثانياً: النظام الأخلاقي

تعتمد الرؤية الأخلاقيّة المتبنّاة على أنّ الله تعالى كما أودع نظامه الأحسن في الكون، والذي يسير فيه كل مخلوق إلى كماله المطلوب، أوجد ـ كذلك ـ نظاماً أخلاقيّاً متكاملاً، من شأنه أن يوصل الإنسان إلى الكمال من خلال رسم الهدف الأسمى له، وتعيين طريقه، وبيان العقبات التي تعترض مساره، وتعيين القدوة والمرشد في هذا السير، وهو ما تكفّل ببيانه الدين الإسلامي الحنيف، بل هو من أهمّ الوظائف التي بُعث لأجلها سيّد الرسل صلى الله عليه وآله، كما بيّنه بما روي عنه صلى الله عليه وآله: «**إنَّما بُعثتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق**»[2]. ما يعني أنّ هناك نظاماً أخلاقيّاً متكاملاً ومنسجماً مع فطرة الإنسان، تكفّلت ببيانه الرسالة الإسلاميّة؛ فيتحتّم علينا التعرّف عليه، واستكشاف ركائزه وتعاليمه، والعمل على نشرها وترويجها والتثقيف عليها بمختلف الوسائل والأساليب.

---

(١) البقرة: آية١٣٨.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠.

ثالثاً: الإنسان

يُشكّل الإنسان المحور في السجال الأخلاقي؛ فهو الموضوع الذي تدور حوله كلّ الجهود والفعّاليات الأخلاقيّة بكلّ ما يمتلكه من خصائص وجوديّة، ونفسيّة، وطبيعيّة، وعقليّة، وميتافيزيقيّة، وما له من احتياجاتٍ ورغباتٍ وميول، وكلّ ما يؤثّر في اتصافه بالصفات الأخلاقيّة، وفي صدور الأفعال الاختياريّة منه. ومن الواضح أنّ كل محاولة تهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانيّة يجب أن تنطلق من رؤية صحيحة وواضحة ومتكاملة عن طبيعة تلك الخصائص والميول والمؤثّرات. ونعتقد ـ جازمين ـ أنّ الرؤية الأخلاقيّة الإسلاميّة تتوفّر على قراءة واقعيّة ودقيقة وتامّة وشاملة، تغطّي العناصر المهمّة والأساسيّة في وجود الإنسان وطبيعته وخصائصه وميوله، وكلّ المؤثّرات في مسيرته الأخلاقيّة.

وما ذكرناه ـ آنفاً ـ لا يمانع من الانفتاح على العلوم والمعارف المهتمّة بدراسة الإنسان وشؤونه وأبعاده المختلفة، سيّما مع التطوّر الكبير الذي شهدته تلك العلوم وتخصصاتها الدقيقة، كالعلوم الطبيعيّة والإنسانيّة؛ من قبيل علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم النفس (السيكولوجيا)، وعلم الاجتماع (السيسيولوجيا)، وعلم التربية وغيرها، حيث يُمكن الاستفادة من معطيات تلك العلوم والمعارف في المجالات التي تصبُّ في سبيل تحصيل الوعي بخصائص الإنسان، والتعرّف على الوسائل المؤثّرة في التربية والتهذيب، شريطة أن لا تتصادم مع الأُسس العقائديّة، ولا تتنافى مع المبادئ والقِيم الأخلاقيّة والتعاليم التربويّة الإسلاميّة.

أهداف المؤسّسة

تجدر الإشارة ـ في سياق الحديث عن مؤسسة الخُلق العظيم ـ إلى الأهداف المتوخاة من وراء تأسيسها؛ إذ تهدف إلى:

١ـ رفد المكتبة الإسلاميّة بالنتاجات العلميّة التحقيقيّة في المجال الأخلاقي؛ من خلال تأليف الكتب والموسوعات والبحوث والمقالات العلميّة الرصينة.

٢ـ إحياء التراث الأخلاقي الإسلامي؛ من خلال رصد الكتب والمخطوطات الأخلاقيّة المهمّة، والعمل على تحقيقها ونشرها، وفهرسة التراث الأخلاقي والتعريف به.

٣ـ النهوض بالجانب الأخلاقي والسلوكي للفرد والمجتمع؛ من خلال نشاطات مختلفة، تخاطب فئات المجتمع من الناشئة والشباب، وطلبة الجامعات، والأساتذة والكوادر العلميّة والثقافيّة والمهنيّة، وأصحاب الاختصاص في المجال الأخلاقي، فضلاً عن الأُسر، والمجتمعات بأطيافها كافّة.

٤ـ رصد المحاضرات والدروس والخُطب الأخلاقيّة النافعة والمؤثّرة التي أفادها العلماء والمختصّون في هذا المجال، والعمل على نشرها بأساليب مختلفة؛ كتدوينها وتحويلها إلى كتب، أو نشرها على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٥ـ إقامة المؤتمرات العلميّة، والندوات البحثيّة المختصّة؛ من أجل إثراء الفكر الأخلاقي، وفتح آفاق بحثيّة جديدة، تتناسب مع روح العصر ومتطلباته، وإقامة الدورات المختصرة في الأخلاق العمليّة، سواء منها ذات الموضوعات العامّة، كالأخلاق الإسلاميّة، أو الخاصّة كالدورات في

الأخلاق التطبيقيّة؛ من قبيل أخلاق الوظيفة، وأخلاق الأُسرة، وأخلاق التعليم، وأخلاق المهنة وغيرها.

٦ـ رصد الظواهر السلبيّة في المجال الأخلاقي، والمشاكل السلوكيّة التي يعاني منها المجتمع، والسعي لتقديم دراسة متكاملة حولها؛ بغية وضع الحلول المناسبة لها.

٧ـ إعداد البرامج الإعلاميّة التي تُسهم في معالجة المشاكل الفرديّة والاجتماعيّة المختصّة بالجوانب الأخلاقيّة، سواء منها البرامج المُعدّة للبثّ على شاشات التلفاز، أو المناسبة للنشر على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٨ـ رفد الساحة الفكريّة بالنتاجات الأخلاقيّة المهمّة عبر ترجمتها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربيّة، وكذلك ترجمة النتاجات المكتوبة باللغة العربيّة إلى اللغات الأخرى.

٩ـ فتح آفاق التعاون مع الجامعات والمراكز العلميّة والمؤسسات والشخصيّات المختصّة والمعنيّة بهذا الشأن؛ لترشيد العمل وتطويره، والإفادة من الكفاءات في هذا المجال.

١٠ـ إعداد كوادر متخصّصة بالأخلاق الإسلاميّة؛ من أساتذة وخطباء وباحثين.

١١ـ السعي لإعداد المناهج الدراسيّة في مجال الأخلاق الإسلاميّة، وتقديمها للمدارس الدينيّة، والمدارس والمعاهد والجامعات الأكاديميّة، والمراكز العلميّة الأخرى.

مشاريع المؤسّسة

باشرت مؤسسة (الخُلق العظيم) بإنشاء جملة من المشاريع في سبيل الوصول إلى أهدافها المنشودة، سواء المشاريع الطويلة الأمد والاستراتيجية أو غيرها، وقد صدر لها بعض الإصدارات في هذا الصدد، فيما سيرى بعضها النور قريباً بإذن الله تعالى، وهذه المشاريع هي:

١ـ موسوعة المواعظ الحَسَنة

ويعمل هذا المشروع على تدوين وتحقيق خطب الجمعة الدينيّة ذات المضامين الأخلاقيّة، التي ألقاها ممثّل المرجعية العليا في النجف الأشرف والمتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في الصحن الحسيني الشريف منذ عام (٢٠٠٣م)، حيث تعمل المؤسسة على إخراجها بصيغة كتاب، بكل ما يتطلّبه من تعديل وتحقيق واستخراجٍ للعناوين وغير ذلك.

٢ـ موسوعة الأخلاق الإسلاميّة الألفبائيّة

يهدف هذا المشروع إلى تأليف موسوعة ألفبائيّة أخلاقيّة، أو ما يُسمى بـ(دائرة المعارف الأخلاقيّة) تهتم بجمع المفاهيم الأخلاقية ـ والمقصود منها الصفات والأفعال الأخلاقيّة ـ مرتّبةً بحسب الترتيب الهجائي، وتقديم عرضٍ كاملٍ ومستوفٍ وموثّق لكلّ ما ورد حول تلك المفاهيم وفق الأسلوب المتّبع في تدوين الموسوعات ودوائر المعارف؛ من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، وبيان حقيقة المفهوم الأخلاقي، ووصفه في القرآن والسنّة والتراث الأخلاقي،

وبيان أقسامه وأسبابه ومناشئه وآثاره ونتائجه، والآليّة العمليّة للتحلّي به إن كان من الفضائل، والتحرّز عنه إن كان من الرذائل، وما إلى ذلك من المباحث المتعلّقة بكل موضوع؛ وهذا ما يجعل من هذا المشروع سابقةً مهمّةً في المصنّفات الأخلاقيّة الشيعيّة، ومرجعاً مهمّاً ومعتبراً في الأخلاق الإسلاميّة.

٣ـ ترجمة النتاجات الأخلاقيّة

تهتمّ المؤسسة بترجمة الكتب الأخلاقيّة المهمّة إلى اللغة العربيّة وبالعكس، ونشرها بعد المراجعة الدقيقة لها وتقويمها من قِبَل اللجنة العلميّة في المؤسسة، وقد تمّ العمل على ترجمة عدّة كتب.

٤ ـ مشروع التراث الأخلاقي

يتضمّن تعريفاً مختصراً بالكتب الأخلاقيّة، وفق الترتيب الهجائي، مع فهرسة تفصيليّة للمباحث الأخلاقيّة في كلّ كتاب، وينتهي بفهرس موضوعي للمباحث الأخلاقيّة في جميع تلك الكتب؛ ليكون دليلاً نافعاً للمحققين والباحثين.

٥ـ تأليف سلسلة الفضائل والرذائل

تعمل المؤسسة على تأليف سلسلة كتيّبات حول جملة من الفضائل والرذائل الأخلاقيّة، يتمّ من خلالها مخاطبة الشريحة المتوسّطة من القرّاء، وتتناول المواضيع الأخلاقيّة المهمّة وذات الأولويّة على الساحة الاجتماعيّة، لمعالجة أهمّ المشاكل الأخلاقيّة، والحثّ على مكارم الأخلاق الإسلاميّة، والترويج لها.

٦ـ مشروع المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقيّة

تعمل المؤسسة على إقامة سلسلة من المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقيّة، بحضور نخبة من الأساتذة والباحثين المختصّين بالجانب الأخلاقي، لبيان المواضيع الأخلاقيّة التخصصيّة المهمّة، وعرض أهم الآراء والنظريّات فيها، كفلسفة الأخلاق، وتاريخ علم الأخلاق، والمدارس الأخلاقيّة، والمقارنة بين علم الأخلاق والعلوم والحقول المعرفيّة الأخرى وما شابه ذلك؛ بغية إثراء الساحة الإنسانيّة والدينيّة بالفكر الأخلاقي الرصين الذي يعتمد بالدرجة الأساس على الأُسس والمبادئ الإسلاميّة.

٧ـ المشاريع الإعلاميّة

تعمل المؤسسة على إعداد جملة من البرامج الإعلاميّة المختلفة، سواء منها ما يُعدّ للبثّ التلفزيوني، أو ما يكون مناسباً للنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، من مقاطع وملصقات تعليميّة وتثقيفيّة ذات مضامين أخلاقيّة.

٨ـ إقامة دورات في الأخلاق الإسلاميّة

من مشاريع المؤسسة الاستراتيجيّة هو إقامة دورات قصيرة في الأخلاق العمليّة لمختلف الفئات، يتمّ فيها تدريس التعاليم الأخلاقيّة الخاصّة بكل فئة من الفئات، وهو ما يتعارف عليه تسمية: (الأخلاق التطبيقيّة)، كأخلاق الوظيفة، وأخلاق الأُسرة، وأخلاق التعليم، وما شابه ذلك.

٩ ـ المكتبة الإلكترونيّة الأخلاقيّة

إذ قامت المؤسسة بعمليّة مسح ميداني في المكتبات والمواقع الإلكترونيّة وجمع النسخ المتوفّرة للكتب الأخلاقيّة والتربويّة؛ لتكون مصدراً مهمّاً للباحثين في هذا المجال، ليتم العمل على إعداد تطبيقٍ مختصٍّ بالمجال الأخلاقي.

هذا الكتاب

يتناول الكتاب (الصدق سرّ السعادة) جوانب مهمّة تتعلّق بالصدق، فبعد أن يحدّد مفهومه بشكل واضح؛ يسلّط الأضواء على أهمّيّة هذه الخصلة، وضرورة المحافظة عليها، ويستعرض صفات الصادق التي يجب توفّرها وإيجادها والمحافظة عليها مِن قِبَل الإنسان في مسيرته التكامليّة، كما يتناول دور الصدق في بناء الشخصيّة وتطويرها، ويُرشد القارئ إلى بعض الخطوات العمليّة التي تُساعده على اكتساب هذه الصفة، وكيفيّة المحافظة عليها، ثمّ يُلفت الكتاب نظر القارئ إلى فوائد الصدق وآثاره التي ينتفع بها في الدنيا والآخرة.

وما يُميّز الكتاب أُسلوبه الواضح، ولغته السهلة التي لا تُتعب القارئ، مع المحافظة على المستوى العلمي في المواضع التي تتطلّب ذلك، بالإضافة إلى تركيزه على الجانب العملي والسلوكي في حياة الفرد وفي تعاملاته مع الآخرين.

وقد ساهم عدّة من الإخوة الأفاضل في إعداد هذا الكتاب، فشكر الله سعيهم وبارك جهودهم، وأحسن جزاءهم؛ ونخصّ بالذكر منهم: فضيلة الشيخ إسكندر الجعفري، وفضيلة الشيخ زياد الساعدي؛ إذ كان لهما دورٌ كبيرٌ ومحوريٌّ في هذا العمل، فنسأل الله العليّ القدير لهما دوام التوفيق والسداد.

كما أنّ للأساتذة الكرام؛ أعضاء اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخُلق العظيم جهوداً متواصلة في الإشراف العلمي على العمل والمراجعة المتأنّية للكتاب، وإبداء الملاحظات القيّمة التي أسهمت في خروجه بهذه الحُلّة القشيبة، فشكر الله سعيهم وجزاهم خير جزاء المحسنين.

ونرى لزاماً علينا أن نتقدّم بالشكر والامتنان لسماحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينيّة المقدّسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته)، على رعايته للمؤسّسة ودعمه لمشاريعها، فنسأل الله تعالى أن يمدّ في عمره، ويجعل هذا المشروع المبارك ذخراً له ولنا.

وختاماً: نرجو أن يساهم هذا العمل المتواضع في التعريف بشيءٍ يسيرٍ من علوم القرآن الكريم، والعترة الطاهرة عليهم السلام، وأن يشارك في نشر الفضيلة والخُلق الرفيع في مجتمعاتنا الإسلاميّة، ونسأل الله تعالى أن يتقبّل منّا ومن القائمين على هذا العمل والمنجزين له بأحسن القبول، وأن يجعله ذخراً لنا ولهم جميعاً يوم نلقاه؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً

اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخُلق العظيم

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

---

(١) الشعراء: آية٨٨ ـ ٨٩.

تمهيد

عندما نتحدّث عن الصدق فإنّنا نتحدّث عن ضرورة حياتيّة، لا تستغني عنها الحياة الكريمة؛ فهو يدخل في نواحي الحياة المختلفة: في تكوين الأُسرة وبنائها، وفي تربية الأولاد وتعليمهم، وفي سلامة العلاقات الاجتماعيّة وقوّتها، وفي تطوّر المجتمع علميّاً وفكريّاً، وفي التعاملات التجاريّة، وفي سائر المجالات المتنوّعة.

فما أجمل أن تكون صادقاً مع أُسرتك، فلا يرون منك إلّا الصدق، ولا يتعلّمون منك إلّا الصراحة والمكاشفة.

وما أروع أن تُربّي أولادك على الصدق؛ ليعرفوا ـ عندما يكبرون ـ أنّ السعادة تكمن في قول الحقيقة وفعلها.

وما أرقى تلك العلاقات القائمة على الصدق في الأُلفة، والمحبّة، والنصيحة.

وما أحوج العلم في تكامله إلى صدق أصحابه في فكرهم، وجِدّهم، وتطلّعاتهم.

وما أطيب الأرزاق التي يعتمد الناس في تحصيلها على الصدق، وعدم الغش، والخداع.

إنّها فعلاً حياة كريمة هانئة، ينعم أهلها بطيب النفوس، وراحة البال.

وإذا كانت هذه الحياة مثاليّة، لا وجود لها في عالمنا اليوم ـ إلّا نماذج نادرة جداً؛ لأنّ عالمنا قائم على الكذب والخداع وتزييف الحقائق ـ فلماذا لا نكون نحن البداية لتكوين ظاهرة مجتمعيّة؛ فنُسهم بوجود أشخاص يلتزمون الصدق في حياتهم مهما كانت النتائج؟

وإذا كنّا نؤمن أنّ الصدق فضيلة جامعة، فلماذا لا نترجم هذه العقيدة إلى سلوك وعمل؟ أليس من الصدق تطابق الباطن مع الظاهر، والسريرة مع العلانية؟ وترك الصفة التي لأجلها توجهت إلى الإنسان انتقادات شديدة اللهجة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1].

ثمّ إنّ الصدق ضرورة دينيّة في جانبه العقدي والعملي، فلا يكفي في الإيمان أن يعتقد الشخص بعقائد الإسلام دون أن تدخل في وجدانه وعقله ونفسه، ولا تكفي هذه العقيدة ما لم يجسّدها في عمله وسلوكه، بل سلوكه الصحيح هو الذي يكشف عن صحّة عقيدته، ففي الحديث: «**لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحجّ والمعروف، وطنطنتهم بالليل، أُنظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة**»[2].

ومن أجل أن نحيا حياة الصدق قولاً وعملاً وفكراً وسلوكاً؛ يتحتّم علينا أن نعرف معنى الصدق وحدوده؛ كي لا نحيد عن مساره، ولا نفقد

---

(١) الصف: آية٢ ـ ٣.

(٢) الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص٣٧٩.

علائمه، وأن نعرف مجالاته وأنواعه، ثمّ صفات أهله وأصحابه؛ كي نكون منهم، أو نقتفي أثرهم، ونهتدي بهديهم، ثمّ آثاره وثماره؛ كي نُدرك بحقٍّ أنّ الصدق فضيلة لا تشاركها أُخرى في الأهمّيّة، ولا تدانيها في المرتبة.

ما معنى الصدق؟

عندما نريد الحديث عن مفردةٍ ما، يجب علينا أن نقف على معناها ومفهومها، وأن نحدّده بشكل واضحٍ وجليٍّ؛ حتى نستطيع الوقوف على مصاديقه وتطبيقاته، ونتعرّف على ما يكون منه وما لا يكون.

ومن تلك المفردات التي نحتاج أن نقف على معناها، ونحدّد مفهومها بشكل واضح هي مفردة الصدق.

وقد تسأل: مَن منّا لا يعرف معنى الصدق؟ ومَن منّا لا يستطيع أن يميّز بينه وبين الكذب؟ إنّ مفردة الصدق من المفردات الواضحة المعنى، والتي نتداولها يوميّاً في أحاديثنا دون أن نتوقّف في معناها.

ويمكننا أن نُجيب: بأنّ الصدق وإن كان معناه واضحاً جليّاً، ولكن قد يكتنفه الغموض في بعض الأحيان، فلا نستطيع الجزم بالصدق أو عدم الصدق، فلو سألت شخصاً يرتدي ساعة يدويّة: مِن فضلك كم الساعة الآن؟ فقال لك ـ بعد أن نظر إلى ساعته ـ: إنّها الواحدة بعد الظهر. وهنا تنفّستَ الصُّعداء؛ لأنّك لم تتأخّر عن الموعد، ولكنّك بعد أن وصلت تبيّن لك أنّ الساعة كانت الثالثة، وقد اتّضح لك أنّ الشخص الذي سألته عن الوقت كانت ساعته متوقّفة، فهل تستطيع أن تقول: إنّه صادق؛ لأنّه لم يكن يعلم بأنّ

ساعته متوقّفة، فليس من قصده أن يُخبرك خلاف الحقيقة، أو لا تستطيع أن تصفه بأنّه صادق؟

هذه الحالات وأمثالها قد نتوقّف فيها ونتردّد؛ ولذا نحن بحاجة إلى التعرّف على معنى الصدق وحدوده ودائرته؛ لكي لا نتوقّف في الحكم في مثل هذه الحالات.

الصدق في اللغة

يتّفق أهل اللغة على أنّ الصدق خلاف الكذب أو ضدّه[١]. ويُعلّل ابن فارس كون الصدق خلاف الكذب بقوله: «**الصاد والدال والقاف أصل يدلّ على قوّة في الشيء قولاً وغيره، من ذلك الصدق خلاف الكذب، سُمّيَ لقوّته في نفسه؛ ولأنّ الكذب لا قوّة له، هو باطل، وأصل هذا من قولهم: شيء صَدِق؛ أي: صَلِب ورمح صدق** ...»[٢]. وعلى هذا فالصدق مشتقّ من الشيء القويّ الصلب.

والصدق تارة يُوصف به الكلام، وأُخرى يوصف به غير الكلام، قال الجوهري: «**وقد صَدَقَ في الحديث، ويُقال أيضاً: صَدَقَه الحديثَ ... وصدقوهم القتالَ، وتصادقا في الحديث وفي المودّة**»[٣].

---

(١) الأهوازي، ابن السكّيت، ترتيب إصلاح المنطق: ص٢٢٢. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٤، ص١٥٠٥.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٣٣٩.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٤، ص١٥٠٥.

وأمّا في الاشتقاقات الأُخرى فقد جاء في الصحاح: «**والمُصدّق: الذي يُصدّقك في حديثك، والذي يأخذ صدقات الغنم. والمتصدّق: الذي يُعطي الصَدَقة، ومررتُ برجلٍ يسأل، ولا تقل يتصدّق ...**

والصَداقة والمُصادقة: المُخالّة، والرجل صديق، والأُنثى صديقة، والجمع أصدقاء، وقد يُقال للواحد والجمع والمؤنّث صديق.

والصدّيق...: الدائم التصديق، ويكون الذي يصدّق قوله بالعمل ...

ويُقال أيضاً: رجل صدق اللقاء، وصدق النظر، وقوم صُدق بالضمّ؛ مثل: فرس، وهذا مصداق هذا؛ أي: ما يصدّقه.

ويُقال للرجل الشجاع والفرس الجواد: إنّه لذو مصَدق بالفتح؛ أي: صادق الحملة وصادق الجري، كأنّه ذو صدق فيما يعدك من ذلك»[1].

فالصدق إذن ما كان ضدُّ الكذب، وهو مشتقٌّ من الشيء القويّ الصلب، ويُطلق على القول كما يُطلق على غير القول.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام في كلام اللغويين هو حديثهم عن منشأ اشتقاقه، وأنّه مشتقٌّ من الشيء القويّ الصلب، فإنّ ذلك يُعطي انطباعاً عن طبيعة الصدق، وأنّه إنّما اكتسب القوّة والصلابة من الواقعيّة التي يحتويها؛ وذلك بخلاف الكذب الذي هو خلاف الواقع وخلاف الحقيقة، فإنّه لا قوّة فيه ولا صلابة.

---

(١) المصدر السابق.

الصدق في الاصطلاح

ذكرنا في كتاب (الكذب مفتاح الخبائث) أنّ هناك ثلاثة آراء في معنى الصدق والكذب، وهي:

الرأي الأوّل: أنّ الصدق مطابقة الخبر للواقع، والكذب مخالفته للواقع.

الرأي الثاني: أنّ الصدق مطابقة الخبر لاعتقاد المُخبر، والكذب مخالفته للاعتقاد.

الرأي الثالث: أنّ الصدق مطابقة الخبر للواقع والاعتقاد، والكذب مخالفته للواقع والاعتقاد.

وذكرنا هناك أنّنا نلمس فرقاً بين وصف الخبر بالكذب، ووصف صاحبه بالكذب، فالخبر يتّصف بالكذب عندما لا يكون مطابقاً للواقع، بينما المُخبِر لا يتّصف بالكذب بمجرّد أنّ خبره لم يطابق الواقع، فالطبيب الثقة قد يشتبه في بعض الحالات المرضيّة ويصف علاجاً خاطئاً، أو ينقل الإعلامي الثقة الصدوق خبراً لا يطابق الواقع، فهناك عوامل أُخرى تتدخّل لتجعل من المُخبِر كاذباً في إخباره؛ مثل العلم والعمد، فالذوق العرفي يرى أنّ المُخبِر لا يستحقّ وصف الكاذب ما لم يقصد ويتعمّد ذلك في إخباره.

ولعلّنا نجد في الأحاديث ما ينفعنا في إثبات هذا المعنى، فقد روى الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قال أبو عبد الله عليه السلام: يا فضيل، إنّ الصادق أوّل مَن يصدّقه الله عزّ وجلّ، يعلم أنّه صادق، وتصدّقه نفسه تعلم**

أنّه صادق»[١]. فقوله: وتصدّقه نفسه تعلم أنّه صادق، يفيد أنّ الصدق متقوّم بالتفات المتكلّم إلى نفسه حين الإخبار، وأنّه صادق فيما يقول، فلو لم يكن معتقداً بصحّة الخبر الذي أُخبر به، وأخبر به، فصادف الواقع؛ لكان صادقاً بحسب الرأي الأوّل القائل بأنّ المدار على الواقع؛ وهذا خلاف الحديث المتقدّم، فإنّ المستفاد منه أنّ لاعتقاد المُخبِر وعلمه دوراً في ذلك.

وفي حديث آخر لفضيل رواه عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إنّ أوّل مَن يكذّب الكذّاب الله عزّ وجلّ، ثمّ الملكان اللذان معه، ثمّ هو يعلم أنّه كاذب**»[٢]، فإنّ الذي يُخبر بما يعتقد بصحّته لا يعلم أنّه كاذب، وإنّما ذاك الذي يعلم بأنّه كذب في خبره، وعدم مطابقته للواقع.

والحاصل: يُفهم من هذين الحديثين أنّ العلم دخيل في استحقاق المُخبر وصف الكاذب، ومجرّد مخالفة خبره للواقع لا يكفي في استحقاقه للوصف ما لم يكن ملتفتاً وعالماً بالكذب.

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٤.
(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٣٣٩.

الفصل الأوّل

الصدق في الكتاب والسنّة

الفصل الأوّل: الصدق في الكتاب والسنّة

ممّا يجدر الالتفات إليه أنّ الفضائل الخُلقيّة فطريّة، متأصّلة في فطرة الإنسان وطبيعته؛ فهو مفطور على الشجاعة، والمروءة، والعفّة، والصدق، والوفاء بالوعود والعهود، وغيرها من الفضائل الكامنة في نفس الإنسان، كما هو مجبول على بغض الرذائل؛ كالخيانة، والفجور، والظلم، والبغي، والكذب، ونحوها، مما تتنفّر منه الطباع وتستقبحه النفوس؛ وبتعبيرٍ آخر: خُلقت النفس البشريّة وهي مستعدّة للصلاح، مهيّأة للكمال؛ فهي تميل بذاتها إلى الفضيلة، وتنفر من الرذيلة؛ قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[1]، وقال عزَّ مِن قائل: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[2]، حيث نَقل في مجمع البيان عن بعضٍ قولهم: «**فأحسن صوركم من حيث قبول الطبع؛ لأنّ ذلك هو المفهوم من حسن الصور**»[3]. إذن الإنسان قد خُلق وهو مهيّأ ليكون إنساناً صالحاً، وعنصراً فاعلاً منتجاً للفضائل والكمالات.

ولكن الفطرة وحدها لا تكفي في بلوغ الإنسان كماله؛ لأنّه عِرضة للانحراف والضلال؛ بسبب الأهواء والشهوات والمغريات التي تدفعه إلى ما

---

(١) الروم: آية٣٠.

(٢) غافر: آية٦٤.

(٣) الطبرسي، أبو علي، داوود، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١٠، ص٢٩.

يخالف مقتضيات الفطرة السليمة، فإنّ الفطرة هي مجرّد استعداد فطري للخير والصلاح؛ فهي تفتقر إلى الحفيظ، والمسدّد، والمرشد، والموجّه، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[١]، ومن هنا كانت حاجة الإنسان إلى المرشد ماسّة جدّاً، وليس في الوجود مَن هو أعرف بالنفس البشريّة من خالقها وبارئها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢]؛ ولهذا بعث الله النبيّين والمرسلين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[٣]، فالقسط هو الاعتدال والتوازن الذي يحتاجه الإنسان في تنظيم العلاقة بين العقل والعاطفة، بين متطلّبات الروح واستحقاقات الجسد؛ وبهذا الاعتدال يبلغ الإنسان أوجّ الكمال الذي خُلق من أجله، وبهذا التوازن تكتمل فطرة الإنسان وتستقيم، وتتهذّب نفسه ممّا يشوبها.

إذن: فطرة الإنسان تدعوه إلى الفضيلة، والسماء تُرشده إلى ما يُعينه على ذلك، وقد قال المصطفى صلّى الله عليه وآله: «**إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق**»[٤].

وعلى هذا الأساس نقول: إنّ الصدق من الفضائل الفطريّة المودعة في النفس الإنسانيّة، وليس شيئاً مكتسباً، يتلقّاه الإنسان من خلال التربية

---

(١) الشمس: آية٧ ـ ٨.

(٢) الملك: آية١٤.

(٣) الحديد: آية٢٥.

(٤) الغازي، سليمان بن داوود، مسند الرضا عليه السلام: ص١٣١.

والتعليم، فلو أنّك خيّرت أحداً بين أمرين؛ خيّرته بين أن يصدق فتعطيه ديناراً، وبين أن يكذب فتعطيه ديناراً؛ لأختار الصدق على الكذب، وما ذاك إلّا لميله الفطري إلى الصدق، إلّا أنّ هناك عوامل ومؤثّرات متعدّدة، تؤثّر على فطرة الإنسان السليمة، وتحرفها عن مسارها الصحيح، فالإنسان يتأثّر بمحيطه وبيئته التي تحيطه من كلّ جانب؛ في البيت، والمدرسة، والسوق، والشارع، وفي كلّ مكان، وهناك الأهواء والشهوات والغرائز التي تدفعه إلى تلبية رغبات النفس الجامحة؛ ولهذا كان للتربية والتعليم دورٌ مهمٌّ في المحافظة على الفضائل الأخلاقيّة الكامنة في النفس، وتهذيبها وتزكيتها، وفي الحديث عن النبيّ الأكرمﷺ: «**كلّ مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يُهوّدانه، أو يُنصّرانه، أو يُمجّسانه**»[1]، فإنّه يشير بوضوح إلى الفطرة السليمة الكامنة في نفس الإنسان، واستعداده الفطري لتلقّي ما فيه خيره وصلاحه، وأنّ ذلك مرهون بما يتلقّاه من تربية وتعليم.

والحاصل: يولد الإنسان وهو مفطور على الصدق، ولكنّه قد يتأثّر بعوامل مختلفة تحرف هذه الفطرة عن مقتضياتها.

ومن هنا أكّدت الشريعة الإسلاميّة على فضيلة الصدق، وضرورة التحلّي به، فهو أساس الفضائل ورأسها، إذ لولاه لما أمكن تصديق الأنبياء

---

(١) البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٢، ص١٠٤.

والرسالات، وبه يتميّز المؤمن من المنافق، قال الله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1]، وبه يُعرف الحقّ من الباطل، وبه تتفاضل الناس في درجاتهم، فهذا صادق، وذاك صدّيق، ولهذا أولت الشريعة الإسلاميّة الصدقَ اهتماماً كبيراً، وخصّصت له مساحة واسعة من النصوص، بالإضافة إلى أنّه فضيلة عقلائيّة لا ينكرها أحد.

---

(١) العنكبوت: آية٣.

البحث الأوّل

الصدق في القرآن

تكرّر لفظ الصدق في القرآن الكريم بمختلف مشتقّاته وصيغه (١٥٥) مرّة[١]، وهذا بحسب مادّة الصدق ولفظه، وأمّا بحسب مطابقة القرآن للواقع، فهو كلّه صدق وحق، فجميع آياته حقائق وواقعيّات، قال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٢]. وقد تحدّث القرآن عن الصدق في نواحٍ مختلفة، وجوانب متعدّدة؛ والهدف منها حثّ الإنسان على التزام الصدق في القول والفعل، وترسيخ هذا المبدأ المهمّ مع نفسه، وخالقه، وأُسرته، ومجتمعه، وفي جميع مناحي الحياة المختلفة؛ لما في هذا الخُلق من أثر واضح في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

الصدق ... صفات وعلامات

من الأساليب القرآنيّة التي استخدمها للحثّ على مبدأ الصدق في الحياة أن أستعرض مجموعة من الصفات التي ينبغي للصادق أن يتحلّى بها؛ فإنّ

---

(١) أُنظر: راضي، ياسر بن إسماعيل، مباحث الصدق في القرآن الكريم: ص١٣٤.
(٢) فُصّلت: آية٤٢.

صدقه يُعرف من خلالها ويمتاز بها عن غيره، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

البعض يتصوّر أنّ الخير والصلاح كلّه في تحديد جهة القبلة في الصلاة، وأنّها إلى المشرق أو إلى المغرب، أو إلى مكان آخر؛ ولذا جاءت الآية لتقول لهذا البعض أنّ البرّ ليس في تحديد مكان القبلة فقط، ومن الخطأ أن نختلف في مثل هذه الأُمور، ونترك الخير والصلاح الحقيقي، فإنّ الخير كلّ الخير في ما يحمله الإنسان من صفات صالحة، وأنّ هذا الخلاف في أمر القبلة يشبه تماماً اختلاف الناس في تحديد مكانٍ لبناء مسجد، ولكن بعد بنائه لا يُصلّي فيه أحد، فليس المهمّ أين يتوجّه الإنسان أثناء صلاته ـ وإن كان ذلك بحدّ ذاته مهمّاً في صحّة الصلاة ـ وإنّما المهمّ مقدار ما يحمله الإنسان من عقائد سليمة وإيمان صادق، ومقدار ما يقدّمه للمجتمع من عطاء مادّيٍّ، وما يفي به من التزامات تجاه الآخرين، ومقدار تحمّله وصبره في سبيل الله وثباته على الدين والإيمان، فإنّ هذه الصفات هي البرّ الذي يدعو له الكتاب الكريم، ويعتبر

---

(١) البقرة: آية١٧٧.

صاحب هذه الصفات هو الصادق الحقيقي، وليس الصادق هو ذلك الذي لا همّ له إلّا الاختلاف والمجادلة، وفرض الرأي دون فائدةٍ تُرجى منه.

ويؤكّد القرآن الكريم على فكرة الإيمان الصادق، وكيف ينبغي أن يكون، فالله سبحانه وتعالى لا يكتفي بالإيمان الشكلي والسطحي، الذي يزول بأدنى شبهة أو لذّة، وإنّما يريد من الإنسان أن يخالط إيمانه روحه ونفسه ومشاعره وأحاسيسه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

هناك قسم من المسلمين يتظاهرون بالدين والإيمان، ويمارسون طقوس الإسلام أمام الناس ومع أنفسهم أيضاً، ولكنّهم ـ للأسف ـ يسقطون عند أبسط شبهة، فتراهم سرعان ما يعتنقون تلك الأفكار ويقعون في أسرها وتحت تأثيرها؛ والسرّ في ذلك هو أنّ الإيمان لم يدخل إلى قلوبهم وعقولهم، فلم يتطابق الظاهر والباطن، وهذا بحدّ ذاته شيء خطير؛ ولذا تُؤكّد الآية على ضرورة الصدق في الإيمان.

وقد يريد المؤمن أحياناً أن يختبر إيمانه وأنّه أيمانٌ صادق أو لا، أو يريد الآخرون أن يعرفوا ذلك؛ فقد أعطت الآية الكريمة بعض الأمارات والصفات؛ وهي الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، والجهاد له معنى خاص، وآخر عام؛ أمّا الخاص: فهو بذل النفس والمال في جهاد العدو، ودفع

---

(١) الحجرات: آية١٥.

خطره عن المسلمين وبلادهم، وأمّا العام: فهو ما يبذله المؤمن في إطار الدفاع عن الإسلام وأهله؛ كالذي يؤلّف كتاباً يدفع فيه الشبهات المعادية، والأفكار المنحرفة، التي تدعو لترك الدين، أو العقيدة الحقّة، أو تدعو للتحلّل الخُلقي، أو الذي يُلقي محاضرة في ذلك، فإنّه سيبذل جهداً ووقتاً ثمينين، من أجل أن يدفع هذه الأفكار والشبهات، أو كالذي يقوم بطبع الكتاب المذكور وترويجه بين الناس، أو يهيّئ المكان والزمان المناسبين والجمهور وللمحاضر الذي يقوم بإلقاء المحاضرة، فإنّ هؤلاء وأمثالهم من مصاديق المجاهدين في سبيل الله بالأموال والأنفس.

ولكي يكون هذا العمل مقبولاً، ودالًّا على الصدق والإخلاص، لا بدّ فيه أن يكون في سبيل الله، وخالصاً لوجهه الكريم، دون شيءٍ آخر؛ فهو يقاتل العدو ويدفع المال للمجاهدين، ويُعين عائلاتهم، ويتفقّدهم في غيابهم، ويؤلّف الكتب أو يطبعها، ويروّج للدين، من أجل الله وحده، ونصرةً لدينه القويم، وليس لغاية أُخرى؛ مثل الرياء والسمعة والشهرة، أو لتحصيل منصبٍ معيّن، أو نحو ذلك من الغايات النفسيّة والمادّيّة التي تكشف عن كذب صاحبها ونفاقه.

ومن الصفات المهمّة ـ أيضاً ـ التي يتحلّى بها المؤمن الصادق ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1].

---

(١) الحشر: آية٨.

الهجرة هي الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام؛ ليتسنّى للمؤمن أن يمارس طقوسه الدينيّة بحرّيّة وسلام، دون قيد أو منع؛ فالهجرة ليست للتسلية أو السياحة أو التجارة، وإنّما من أجل التماس الفضل ورضوان الله تعالى؛ الهجرة هي أن يتنازل الإنسان عن أمواله، ويتنازل عن منصبه وموقعه، ويتنازل عن كلّ شيء من أجل أن ينجو بدينه، ويسلم له إيمانه، فالإيمان يجب أن يكون أعزّ ما يملكه الإنسان، فهو رصيده في الدنيا والآخرة.

وأمّا نصرة الدين؛ فهي السبب الذي من أجله هاجر المسلمون من مكّة إلى المدينة، لقد هاجروا لنصرة الله ورسوله، حيث لا يمكنهم ذلك وهم في مكّة، فإنّ مكّة في ذلك الحين كانت في قبضة المشركين، فكان الهدف الرئيسي من وراء الهجرة؛ التي بسببها تركوا كلّ شيء؛ أموالهم، عائلاتهم، منازلهم، ضياعهم، مواقعهم الاجتماعيّة، قبائلهم، إنّما هو نصرة الدين حيث التحقوا بالنبي الأكرمﷺ في المدينة المنوّرة، والكثير منهم كانوا يعيشون في مكّة عيشة مترفة ومنعّمة، ولكنّهم فضّلوا الهجرة إلى المدينة والعيش في الفقر والحرمان والبؤس، من أجل نصرة الدين، واتّباع سيّد المرسلين.

فهذا مصعب بن عمير الشهيد، الصحابي الجليل، كان أترف غلام بمكّة، يعيش حياة مرفّهة وناعمة، بين رغد العيش وعطف الأبوين، ولكنّه فضّل الهجرة إلى المدينة، حيث الفقر والجوع وصعوبة الحياة، نصرةً للدين، وحفظاً لعقيدته، فقد رُوي أنّ أمير المؤمنينعليه السلام قال: «**فجئت المسجد فطلع علينا مصعب بن عمير في بردة له مرقوعة بفروة، وكان أنعم غلام بمكّة**

وأرفه، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكر ما كان فيه من النعيم، ورأى حاله التي هو عليها، فذرفت عيناه عليه، ثمّ قال: أنتم اليوم خير أم إذا غدي على أحدكم بجفنة من خبز ولحم؟ فقلنا: نحن يومئذٍ خير، نكفى المؤنة، ونتفرّغ للعبادة. فقال: بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ»[1].

فالذي يترك وراءه كلّ شيء، ويُهاجر إلى بلاد أُخرى ليحافظ على مكاسبه الدينيّة، وينجو بعقيدته؛ لهوَ المؤمن الصادق بحقّ، الذي امتحن الله تعالى إيمانه وتقواه، فكلّ مؤمن ينبغي أنّ يهيّئ نفسه ويوطّنها على تحمّل المشاق والصعاب، والهجرة إذا اقتضى الأمر من أجل الحفاظ على دينه وعقيدته، تماماً كما قال سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ـ عندما عزم على الانطلاق إلى كربلاء ـ: «**مَن كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل؛ فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله**»[2].

وأمّا ذلك الذي يترك بلاد الإيمان ويُهاجر إلى بلاد الكفر، طلباً للمال أو لتحسين الحال، أو للتحرّر من القيود والتقاليد، وما شاكل ذلك، ولا يبالي فيما إذا تأثّر إيمانه بتلك الأجواء، أو تصدّعت عقيدته بسبب اختلاطه بالكفّار والملحدين؛ فليس بمؤمنٍ حقّ الإيمان، ولا يصحّ عدّه في زمرة المؤمنين الصادقين؛ لأنّ المؤمن الصادق هو الذي لا يقدّم شيئاً على دينه وعقيدته وإيمانه، مهما كانت الظروف والأحوال.

---

(١) الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان، سِيَر أعلام النبلاء: ج١، ص١٤٧.
(٢) الحلّي، ابن نما، مثير الأحزان: ص٢٩.

هذه بعض صفات الصادقين التي ذكرها القرآن الكريم، وهي وإن جاءت في سياق الحديث عن الصدق في الإيمان بالله وأنّ المؤمن الحقيقي ينبغي أن يتحلّى بها، ولكنّها ـ بشكل عام ـ تُلقي بظلالها على صدق الإنسان في باقي المجالات؛ لأنّ الصفات التي تحدّثت عنها الآيات وهي بشكل مختصر:

١ـ الإيمان بـ(الله، وملائكته، وكتبه، ورُسله، والمعاد).

٢ـ الثبات في الإيمان، وعدم الشكّ فيه والارتياب.

٣ـ إقامة الصلاة.

٤ـ إيتاء المال (الإنفاق الواجب والمستحب).

٥ـ الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

٦ـ الهجرة في سبيل الله.

٧ـ نصرة الدين.

٨ـ الوفاء بالعهد.

٩ـ الصبر على البأساء والضرّاء وحين الحرب.

ترتبط بشكل أساسي بصدق الإنسان في مختلف الجوانب، فالإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله؛ يعني: أن يؤمن الإنسان بشريعة الإسلام بأجمعها في عباداتها ومعاملاتها، كما أنّ وفاءه بالعهد يقتضي أن يفي بعهده مع الناس، فكلّ هذه الصفات هي عبارة عن مبادئ يلتزمها المؤمن في حياته العمليّة فيما لو أراد أن يكون صادقاً.

فصفة الصدق إذن صفة شموليّة عامّة، تحيط بالإنسان من كلّ جانب.

الصدّيقون والصادقون

تحدّث الكتاب العزيز عن الصدّيقين في عدّة مواضع، كما ذكر الصادقين في مواضع أُخرى، ومن حقّنا أن نتعرّف على هؤلاء المعنيّين بهذين اللفظين، وسيتّضح أنّ هناك ثمرات وفوائد تترتّب على معرفة ذلك، فعندما يتّضح لنا أنّ الصدّيق ـ في بعض معانيه ـ مرتبةٌ ومنزلةٌ فيمكن للإنسان أن يبلغها فيما إذا أراد ذلك، وسيتّضح ـ أيضاً ـ أنّ المقصود من الصادقين هم فئة من الناس أمرنا الله تعالى باتّباعهم والاقتداء بهم.

الصدّيقون

جاءت هذه المادّة مكرّرة في القرآن الكريم؛ حيثُ وردت في ستّ آيات، ولكنّ الذي يهمّنا منها آيتان فقط وهما، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[1]. وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[2].

والملاحظة الجديرة بالالتفات، أنّ الصدّيقين في الآية الأُولى قد عُطفوا على النبيّين، ثُمّ عُطف عليهم بقيّة الأصناف؛ وهم: الشهداء، والصالحين،

---

(١) النساء: آية٦٩.

(٢) الحديد: آية١٩.

وحسن أُولئك رفيقاً، وفي الآية الثانية ـ أيضاً ـ نجدها قد قدّمت ذكر الصدّيقين على الشهداء، فهم مقدّمون في الموضعين، ونحن نعلم أنّ العطف يقتضي المغايرة، وعلى هذا الأساس يكون المراد من الصدّيقين معنىً مغايراً لباقي الأصناف المذكورين، فهم غير الأنبياء وغير الشهداء وغير الصالحين... وهذا التغاير موجود في كلا الآيتين.

ومن هنا يُطرح السؤال التالي؛ وهو أنّ بعض الأنبياء قد وُصفوا بالصدّيقين كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾[2]، مع أنّ الصدّيق غير النبيّ كما هو مقتضى العطف في الآية الأُولى المتقدّمة، فكيف يتمّ التوفيق بين الأمرين؟.

من الواضح أنّ معنى الصدّيق ـ بتشديد الدال ـ هو الكثير الصدق، بحيث صار الصدق من سماته وشمائله التي لا تفارقه، وفي الحديث عن النبيّ الأكرمﷺ، أنّه قال: «**إنّ الصدق برّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وإنّ العبد ليتحرّى الصدق حتّى يُكتب عند الله صدّيقاً، وإنّ الكذب فجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإنّ العبد ليتحرّى الكذب حتّى يُكتب كذّاباً**»[3].

---

(١) مريم: آية٤١.

(٢) مريم: آية٥٦.

(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم: ج٨، ص٢٩.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[١]، فقد وُصف بالصدّيق لكثرة صدقه فيما يُخبر[٢]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[٣]، وغيرها، فإنّ المراد من الصدّيق فيها جميعاً شيءٌ واحدٌ؛ وهو كثير الصدق.

فالصدّيق هو مَن يُكثر الصدق، ويتحرّى عنه في قوله وفعله وسلوكه وتعاملاته، ويتّصف به، وهو معنى عام يشمل الأنبياء، والصالحين، وسائر مَن يُحافظ على هذا الوصف، ولا يختصّ بطائفة معيّنة، ولذا وُصف به الأنبياء ـ كما تقدّم في الآيتين السابقتين ـ وغيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[٤]، فإنّها لم تكن من الأنبياء، ومع ذلك وُصفت بأنّها صدّيقة، ممّا يعني عموم اللفظ وعدم اختصاصه بفئة أو جماعة، ولكن في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾، لا يمكن أن يكون المراد من (الصدّيقين) كلّ مصدّق، بل لا بدّ أن يكون المقصود طائفة معيّنة؛ لعدّة أُمور، منها:

١ـ عطف الصدّيقين على النبيّين، وعطف الشهداء وما بعده على الصدّيقين؛ وهو يقتضي المغايرة، كما هو واضح.

---

(١) يوسف: آية٤٦.
(٢) أُنظر: الطبرسي، داوود، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٥، ص٤١٠.
(٣) مريم: آية٤١.
(٤) المائدة: آية٧٥.

٢ـ سياق الآية يقتضي أن يكون المقصود منهم طائفة معيّنة معروفة، فإنّ صدرها يحثّ المؤمنين على طاعة الله ورسوله، ثمّ تذكر أنّ الذي يُطيع فسيكون مع هؤلاء؛ أي: النبيّين والصدّيقين... فلو كان المقصود من الصدّيقين كلّ مصدّق من الناس؛ لما استقام المعنى.

٣ـ ما ذكره المفسّرون من أنّ المراد طائفة معيّنة، وهم وإن اختلفوا في هويّة الطائفة؛ ولكنّهم قد اتفقوا على أنّ المقصود منهم مجموعة مخصوصة، غير النبيّين على أقلّ التقادير[1].

ولنا أن نتساءل عن هذه المجموعة المعنيّة في هذه الآية الكريمة، مَن هم؟

روى الحاكم الحسكاني ثلاث روايات تُفسّر الصدّيقين بعليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ إمّا من باب أنّه مصداق من مصاديق الصدّيق، أو أنّ الصدّيق في هذه الأُمّة مختصّ به.

١ـ روى بسنده عن: «**أبي صالح: عن عبد الله بن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾؛ يعني: في فرائضه ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ في سنته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ـ يعني محمّداً ـ ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ يعني عليّ بن أبي طالب، وكان أوّل مَن صدّق برسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾؛ يعني: عليّ بن أبي**

---

(١) أُنظر: على سبيل المثال، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): ج٣، ص٣٤٢، وتفسير الرازي: ج١٠، ص١٧٢، وغيرها من كتب التفسير.

طالب وجعفر الطيّار، وحمزة بن عبد المطّلب، والحسن، والحسين؛ هؤلاء سادات الشهداء ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ يعني: سلمان، وأبا ذرٍّ وصهيباً وبلالاً وخبّاباً وعمّاراً ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الأئمّة [لا] حد عشر»[1].

٢ـ وروى بسنده عن: «**علي بن موسى الرضا، قال: أخبرني أبي، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمّد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب**عليه السلام **قال: قال رسول الله**صلى الله عليه وآله **في هذه الآية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ قال: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ محمّد، و(من الصدّيقين) علي بن أبي طالب، و(من الشهداء) حمزة، و(من الصالحين) الحسن والحسين ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ قال: القائم من آلِ محمّد**صلى الله عليه وآله**. لفظاً سواء»**[2].

٣ـ وروى بسنده عن: «**عن أصبغ بن نباتة قال: تلا ابن عبّاس هذه الآية فقال: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ محمّد، ومن (الصدّيقين) علي بن أبي طالب، و(من الشهداء) حمزة وجعفر، ومن (الصالحين) الحسن والحسين، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ فهو المهدي في زمانه»**[3].

فالرواية الأُولى تدلّ على أنّ المقصود من الصدّيقين هو أمير المؤمنين عليه السلام، كما تدلّ على أنّه أوّل المصدّقين برسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا الثانية والثالثة فهما تدلّان

---

(١) أُنظر: الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ج١، ص١٩٦ـ ١٩٧. هكذا هي في المصدر، والصحيح (الأحد عشر) كما هو واضح.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص١٩٨.

على أنّه عليه السلام، من الصدّيقين، فهو من مصاديقهم، وممّا يؤكّد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو المعنيّ في الآية الكريمة؛ ما جاء في حديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث قال: «**الصدّيقون ثلاثة: حبيب بن مري النجّار مؤمن آل ياسين؛ الذي قال: يا قوم اتّبعوا المرسلين. وحزقيل مؤمن آل فرعون؛ الذي قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله. وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم**»[1]، فإنّ الآية قد ذكرت أنّ الذين يطيعون الله ورسوله يكونون مع النبيّين والصدّيقين، والمناسب في تفسيرها ملاحظة خطّ الأنبياء وخطّ الصدّيقين على طوله من آدم عليه السلام وحتّى نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله، فالمؤمن المطيع يُحشر مع الأنبياء لا خصوص نبيّنا الكريم، كما يُحشر مع الصدّيقين، وهم الصدّيقون على طول التاريخ، وهم الثلاثة الذين ذكرهم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وواضح أنّ المقصود أنّهم أكمل الصدّيقين، وأبرزهم؛ لأنّ هناك صدّيقين آخرين غيرهم.

وممّا يؤكّد أنّ المقصود من الصدّيقين هو ما ورد ذكرهم في الرواية السابقة أنّ هذا التفسير هو الأنسب لصيغة الجمع، فإنّ الصدّيقين جمع صدّيق؛ ممّا يعني: أنّهم جماعة، فإذا فسّرنا الآية برواية (الصدّيقون ثلاثة) يكون اللفظ مطابقاً لمعناه، بلا تجوّز، فاللفظ للجمع والمعنى جماعة أيضاً.

وأمّا قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) المحبّ الطبري، أبو جعفر، أحمد، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج٣، ص١٠٤.

أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ فهي تتحدّث عن عنوانين هما: الصدّيقين والشهداء، ومن الواضح أنّ العطف ـ حسب معناه الأوّلي ـ يعطي معنى المغايرة، فيكون عنوان الصدّيقين مغايراً لعنوان الشهداء، ما لم يدلّ دليل على أنّهما يشيران إلى معنى واحد.

وسياق الآية يفيد أنّ المقصود بالصدّيقين: هم الذين آمنوا بالله ورُسُله، فهؤلاء هم الصدّيقون، وليس المعنى أنّهم بمنزلتهم، فالذي يؤمن بالله ورُسُله يكون بمنزلة الصدّيقين، وليس هذا هو المعنى الظاهر منها، وإنّما الظاهر منها أنّ الصدّيقين هم الذين آمنوا وصدّقوا.

ولعلّ القرآن الكريم يُريد أن يُلفت نظرنا إلى أنّ هناك نمطاً من الناس يصدقون، ولكنّهم في بعض الظروف أو أمام بعض التحدّيات تضعف إرادتهم فيتخلّون عن الصدق، فهؤلاء أقلّ منزلة من أُولئك الصادقين على طول الخطّ، وأمام مختلف التحدّيات والظروف؛ لا يضعفون أمام شهوة، أو طمع، أو تحت أيّ ضغط؛ ويصدقون مع الله، ومع أنفسهم، ومع أُسرهم ومحيطهم الاجتماعي، وفي تعاملاتهم، وفي جميع النواحي؛ فهؤلاء هم الصدّيقون.

والخلاصة: إنّ لفظ الصدّيق الوارد في القرآن الكريم، على ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: الصدّيقون الذين يأتون بعد درجة الأنبياء مباشرةً، واتّضح أنّهم ثلاثة؛ حبيب النجّار مؤمن آل ياسين، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم.

القسم الثاني: الصدّيقون بالمعنى العام الشامل للأنبياء، مثل الآيات المتقدّمة، والأولياء الممحّصين، مثل مريم العذراء عليها السلام، كما تقدّم في الآية الكريمة، ومثل ما ورد في سيّدة نساء العالمين عليها السلام من أنّها «**الصدّيقة الكبرى**»[1].

القسم الثالث: الصدّيقون بالمعنى الأوسع شمولاً للأنبياء والأولياء والصالحين والمؤمنين المخلصين إلى يوم القيامة، وهذا القسم هو الذي دلّت عليه الآية المتقدّمة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، وتحدّثت عنه الكثير من الروايات، ووصفت به جماعة من المؤمنين، فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «**عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتّى يُكتب عند الله صدّيقاً، وإيّاكم والكذب فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتّى يُكتب عند الله كذّاباً**»[2]، فالذي يتحاشى الكذب في قوله وفعله، ويُحافظ على صدقه في منطقه وسلوكه، يكون صدّيقاً، وفي هذا السياق ما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام حيث قال لزيد بن أرقم: «**ما من شيعتنا إلّا صدّيق شهيد، قال: قلتُ: جُعلتُ فداك أنّى يكون ذلك وعامّتهم يموتون على فراشهم؟ فقال: أمَا تتلو كتاب الله في الحديد: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، قال:**

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص٧٣ ، وما بعدها.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم: ج٨، ص٢٩.

فقلتُ: كأنّي لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله عزّ وجلّ قطّ، قال: لو كان الشهداء ليس إلّا كما تقول؛ لكان الشهداء قليلاً»[1]. ومن الطبيعي أنّ مقصود الإمام عليه السلام من شيعتنا؛ المخلصون المتّقون، وليس المقصود كلّ مَن تسمّى بهذا الاسم، وقيل له: شيعي، فإنّ الإمام قد وصف الشيعي بـ(صدّيق شهيد)؛ ونحن نعرف أنّ الصدّيق هو الكثير الصدق في القول والعمل؛ فلا يكذب في إخباره أذا أخبر عن شيء، ولا يكذب في فعل من أفعاله، فهو يفي بالوعد إذا وعد، ولا يشهد إلّا بالحق، ولا يتظاهر بالتقوى ويُخفي انحرافه ومعاصيه، فهو مؤمن حقّاً.

ولعلّ القرآن الكريم يُريد أن يُلفت نظرنا إلى أنّ هناك نمطاً من الناس يصدقون ولكنّهم في بعض الظروف، أو أمام بعض التحدّيات، تضعف إرادتهم فيتخلّون عن الصدق، فهؤلاء أقلّ منزلة من أُولئك الصادقين على طول الخطّ وأمام مختلف التحدّيات والظروف، فلا يضعفون أمام شهوة، أو طمع، أو تحت أيّ ضغط، ويصدقون مع الله، ومع أنفسهم، ومع أُسرهم ومحيطهم الاجتماعي، وفي تعاملاتهم، وفي جميع النواحي؛ فهؤلاء هم الصدّيقون.

الصادقون

تكرّر لفظ الصادقين في القرآن الكريم (١٩) مرّة، ويمكن مبدئيّاً تقسيم الموارد بحسب المعنى إلى قسمين:

---

(١) البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن: ج١، ص١٦٣ـ ١٦٤.

القسم الأوّل: ما يُراد منه الصادقون الذين يقابلون الكاذبين، فيشمل المعنى كلّ صادق، ولا يختصّ بجماعة معيّنة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[1]، فالمقصود من لفظ (الصادقين) ما يقابل الكاذبين، ولا يقصد منه خصوص الأنبياء، أو الصالحين، أو نحو ذلك، وهناك غيرها في نفس المضمون[2].

ولو تأمّلنا في هذه الآية ومثيلاتها؛ لتأكّد لنا ما سبق وأوضحناه من أنّ صفة الصدق من الصفات الأخلاقيّة الحسنة عند جميع العقلاء، وفي مختلف الأزمنة والأمكنة، ولا يختلف عليها اثنان، فالذين جحدوا نبوّة نوح عليه السلام، أنكروا عليه أن يكون صادقاً؛ ممّا يعني: أنّ الصدق عندهم من الصفات الحسنة، وفي الجانب الآخر نجدهم يتّهمون الأنبياء والمرسلين بالكذب تكذيباً لهم وحطّاً لقدرهم ومنزلتهم أمام أعين الناس، وما ذاك إلّا لقبح الكذب وشناعته؛ حيث يوجب نفرة الناس من صاحبه وابتعادهم عنه.

القسم الثاني: ما يُراد به جماعة معيّنة، وهذا له صنفان:

الأوّل: ما تحثّ الآيات الكريمة على الدخول في ضمنهم، من خلال التوفّر على الأسباب والموجبات والسلوكيّات التي أوجبت لهم هذا الوصف، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ

---

(١) هود: آية٣٢.

(٢) أُنظر مثلاً: الآية (٢٩) من العنكبوت، والآية (٢٢) من الأحقاف، والآيتان (٧٠) و(١٠٦) من الأعراف، إلى غيرها من الموارد.

وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[1]، فهذه الآية لا تتحدّث عن جميع المسلمين، وإنّما تتحدّث عن صنفٍ معيّنٍ منهم، لهم أوصافهم الخاصّة وهم المؤمنون بالله ورسوله حقّاً دون ريبٍ أو شكٍّ، وعلى طول الخطّ وفي مختلف الظروف والأحوال؛ فهم أصحاب عقيدة راسخة، وهم المجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، على ما أوضحنا ذلك في فصل سابق، فهؤلاء قد استحقّوا بذلك وصف الصادقين؛ فهو وصفٌ خاصٌّ بمَن يمتلك هذه الأسباب، وكقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[2]، فإنّ الحديث فيها عن جماعة مخصوصة من المؤمنين، فهي تقول: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ﴾، وهؤلاء المؤمنون قد عاهدوا الله تعالى أن لا يفرّوا عند لقاء العدو، ولا يخذلوا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن يحافظوا على ثباتهم وعقيدتهم في كلّ الأحوال، ومهما تغيّرت الظروف[3]، وقد مدحت الآية هؤلاء المؤمنين ووعدتهم بالجزاء على صدقهم ووفائهم بعهدهم؛ وهي بذلك تُرشد إلى أهميّة الصدق والوفاء بتعهّدات المؤمن الدينيّة؛ من صدق الإيمان، والدفاع عن العقيدة، والثبات الدائم، وعلى هذا؛ فهي لا تختص بالمجموعة التي نزلت

---

(١) الحجرات: آية١٥.

(٢) الأحزاب: آية٢٣ ـ ٢٤.

(٣) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨، ص٣٢٩، وغيره.

فيهم، بل تشمل كلّ مؤمن يثبت عند لقاء العدو ولا ينهزم في الشدائد والمحن، ولا تغرّه الدنيا، ولا تخدعه الفتن والأهواء، وكان الإمام الحسين عليه السلام يوم الطفّ يكرّر تلاوتها، وهو يرى أنصاره يتساقطون واحداً بعد الآخر مضرّجين بدمائهم الزكيّة[1]؛ ممّا يعني أنّها تنطبق على كلّ مؤمنٍ يتمتّع بالثبات والعقيدة الراسخة.

إذن، في هذه الآيات وأمثالها، وإن كان الحديث عن جماعة معيّنة من المؤمنين، يمتازون ببعض الصفات والكمالات، إلّا أنّها لا تمنع أن يدخل فيها كلّ مؤمن يستطيع أن يتحلّى بهذه الصفات، ويتوفّر على الشروط والموجبات التي تُدخله تحت عنوانها.

الثاني: ما يكون مختصّاً بجماعة معيّنة أيضاً، ولكنّها تختصّ بهم ولا تشمل غيرهم، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2]، فهذه الآية الكريمة تتحدّث عن جماعة خاصّة وتأمر بالكون معهم؛ أي: اتّباعهم والاقتداء بهم، وسيتّضح لاحقاً أنّ المقصود بهذه الجماعة هم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، والأئمّة المعصومون عليهم السلام، فيكون الفرق بين هذا الصنف من الآيات والصنف السابق: أنّ في الصنف السابق يمكن للمؤمن إذا ما تحلّى ببعض الصفات؛ أن يدخل في العنوان بحيث يكون مشمولاً بالآية، فيكون في زمرة الصادقين المذكورين، بينما في هذا الصنف لا يمكن لأيّ مؤمنٍ

---

(١) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٦٤.
(٢) التوبة: آية١١٩.

أن يدخل في المجموعة المقصودة، مهما كانت درجته ومنزلته، فيكون المطلوب هو الاقتداء بهذه المجموعة والكون معهم وليس منهم.

ولكي نثبت أنّ المقصود من (الصادقين) في الآية هم النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، نحتاج إلى النقاط التالية:

١ـ إنّ الخطاب في الآية عامٌّ لجميع المؤمنين، وهي تأمرهم بالتقوى والكون مع الصادقين، ومن الواضح أنّ ظاهر التعبير بالكون مع الصادقين وجود مجموعة معيّنة معروفة ومعلومة تمتاز بصفة الصدق، يجب على باقي المؤمنين اتّباعها والاقتداء بها.

٢ـ ذكر المفسّرون والباحثون أقوالاً واحتمالات كثيرة في تحديد هويّة الصادقين المذكورين في الآية، ولا يهمّنا التعرّض لها وبيانها، بعد أن كانت تفتقر إلى الدليل والشاهد، ويمكن مراجعتها في كتب التفسير[1]، والذي يهمّنا ـ في المقام هو ـ أن نذكر ما يُثبت أنّ المراد منهم هم الأئمّة الهداة المعصومون.

وللرازي ـ المفسّر المعروف ـ كلامٌ مهمٌّ في تفسيرها، نذكر فيما يلي خلاصته:

١) إنّ الآية تأمر بموافقة الصادقين، ممّا يقتضي النهي عن مفارقتهم؛ وهذا يفترض وجود الصادقين، إذ لو لم يكونوا موجودين فما معنى الأمر بموافقتهم وملازمتهم؛ وعلى هذا الأساس فالآية تُثبت وجود الصادقين.

---

(١) أُنظر: المصدرين السابقين.

٢) إنّ ظاهر الآية هو وجود الصادقين في كلّ زمان، وأنّ وجودهم لا يختصّ بزمان النبيّ صلى الله عليه وآله، والقرائن على ذلك كثيرة، منها في داخل الآية، ومنها من خارجها، أمّا من داخلها فمثل الإطلاق، فإنّها مطلقة من جهة الزمان، فلم تقيّد بزمانٍ دون زمان، كما أنّه لا ترجيح لزمن على آخر ليُبرّر حمل الإطلاق عليه. وأمّا ما هو من خارج الآية؛ فلأنّ المعلوم من الشريعة كون التكاليف عامّة لجميع المكلّفين وفي جميع الأزمنة؛ فوجوب الصلاة والصوم عامٌّ لجميع المكلّفين وفي جميع الأزمنة، وتخصيصه بزمان دون آخر يحتاج إلى مخصّص، وكذلك الأمر في مقامنا، فإنّ الآية أوجبت الكون مع الصادقين، وهو تكليفٌ عامٌّ لجميع المكلّفين وفي جميع الأزمنة.

٣) إنّ الآية تدلّ على عصمة الصادقين؛ لأنّها تأمر المؤمنين بتقوى الله عزّ وجلّ؛ ومعنى ذلك جواز الخطأ عليهم، فإنّ الذي يصحّ أن تصدر منه المخالفة يصحّ أمره بالتقوى، بينما الذي لا يجوز عليه الخطأ، ولا تصدر منه المخالفة؛ لا يتوجّه إليه الأمر بالتقوى، فيكون الأمر متوجّهاً إلى مَن يجوز عليه الخطأ فتأمره الآية بالتقوى، ولزوم اتّباع مَن لا يجوز عليه الخطأ؛ فهي تأمر المؤمنين بمتابعة المعصومين.

إلى هنا توصّل الرازي إلى أنّ الآية تدلّ على وجوب موافقة المعصوم وعدم جواز مفارقته، وأنّ المعصوم موجود في كلّ زمان[1].

وقد روى المفسّرون والمحدّثون من أهل السُّنّة عدّة روايات تفسّر الآية بأمير المؤمنين عليه السلام، أو النبيّ صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام؛ وهي:

---

(١) أُنظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي: ج١٦، ص٢٢٠ـ٢٢١.

أوّلاً: ما رواه الثعلبي في تفسيره بسنده عن ابن عبّاس في هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ قال: «**مع عليّ بن أبي طالب وأصحابه**»[١]، ورواها الحاكم الحسكاني عن ابن عبّاس أيضاً، ولكن التعبير فيها «**مع علي وأصحاب علي**»[٢].

ثانياً: ما رواه الثعلبي ـ أيضاً ـ في تفسيره عن جابر عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ قال: «**مع آلِ محمّد**[صلى الله عليه وآله]»[٣].

ثالثاً: وروى الحاكم الحسكاني بسنده عن عبد الله بن عمر [في قوله تعالى]: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ قال: أمر الله أصحاب محمّد بأجمعهم أن يخافوا الله ثمّ قال لهم: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾. يعني محمّداً وأهل بيته[٤].

وهناك روايات غير هذه الثلاث، رُويت بطرق أُخرى لم نذكرها تجنّباً للإطالة، يمكن مراجعتها في مكانها المناسب[٥]، والمهمّ أنّ أهل السنّة أنفسهم قد رووا هذه الروايات.

---

(١) الثعلبي، أحمد بن محمّد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): ج٥، ص١٠٨، ص١٠٩.

(٢) الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ج١، ص٣٤٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) راجع الروايات في المصادر التالية: الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ج١، ص٣٤١ـ٣٤٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج٣، ص٢٩٠. الزرندي الحنفي، محمّد بن يوسف بن الحسن، نظم درر السمطين،: ص٩٢. وغيرها.

٣ـ عندما نتأمّل في الآية الكريمة نجد أنّها قد عطفت فعل الأمر (كونوا) على الأمر بالتقوى، فنفهم من ذلك أنّ التقوى المنشودة لا تحصل بتمامها وكمالها إلّا باتّباع الصادقين؛ فاتّباعهم يستلزم استكمال عمليّة التقوى والاستقامة المطلوبة من المؤمن، ولولا هذا الاتّباع لم تحصل التقوى المطلوبة، وهذا المعنى يؤكّده الواقع الخارجي؛ إذ الإنسان يحتاج ـ في مسيرته نحو الكمال ـ إلى مرشد ومقوّم معصوم من الخطأ؛ ليصحّح الانحراف والزيغ الذي تتعرّض له هذه المسيرة، وممّا يُستفاد منه هذا المعنى الروايات الكثيرة التي تتحدّث عن ضرورة وجود المعصوم في الأُمّة، وأنّه لو رُفع من الأرض ساعة لساخت بأهلها؛ أي: انخسفت بهم، فعن أبي حمزة قال: «**قلتُ لأبي عبد الله**عليه السلام: **أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت**»[1]، والمقصود: أنّ وجود الإمام المعصوم أمانٌ لأهل الأرض من الضلال والهلاك؛ فهو الذي يردّهم إلى الصواب إذا ما أخطأوا، ويُصحّح لهم المسير إذا ما حادوا عن الطريق القويم، فعن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سمعته يقول: إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام، كيما إنْ زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم**»[2]، وعلى هذا الأساس فلا يمكن أن تتحقّق التقوى بتمامها وكمالها ما لم يحصل الاقتداء بالإمام المعصوم.

إذن، فالآية الكريمة تأمر المسلمين بتقوى الله، وموافقة أهل البيت عليهم السلام واتّباعهم، وعدم مخالفتهم.

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٧٩.
(٢) المصدر السابق: ص١٧٨.

البحث الثاني

الصدق في السنّة

حثّ النبيّ الأكرمﷺ في أقواله وأحاديثه ـ طيلة حياته ـ على الصدق وأهمّيّته، وضرورة المحافظة عليه، بالإضافة إلى أنّهﷺ قد جسّده في سلوكه وأفعاله، حتّى عَرفه المجتمع بالصادق الأمين، وكان ذلك قبل البعثة، وقد روى المؤرّخون أنّهﷺ صعد الصفا فهتف: «**يا صباحاه، قالوا: مَن هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمّد، فاجتمعوا إليه، قال: أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد...**»[1]. فهم قد شهدوا جميعاً بصدقه، وكان أبو جهل على الرغم من عداوته لرسول اللهﷺ، يعترف بصدقه علناً، فقد لقي الأخنس أبا جهل يوم بدر، فاختلا به فقال: «**يا أبا الحكم، أخبرني عن محمّد أصادق هو أم كاذب؟ فإنّه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: ويحك، والله إنّ محمّداً لصادق، وما كذب محمّد قطّ،**

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: ج٢، ص١٨١.

ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوّة، فماذا يكون لسائر قريش...؟!»[١].

وقد سار أهل البيت عليهم السلام بسيرته وهديه؛ فكانوا مثالاً صالحاً للصادقين، في القول والفعل، حتّى أمر الله سبحانه وتعالى بالكون معهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢]، وكانوا يحثّون المسلمين على الصدق وتجنّب الكذب؛ لذا نجد في أقوالهم الشيء الكثير من أحاديث الصدق، فقد تحدّثوا عنه من جوانب عدّة، وأوّل ما يُطالعنا في هذا المجال ما روي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، من قوله وهو يتحدّث عن الصدق وفضله وأهمّيّته:

«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وما يزال الرجل يصدق حتّى يُكتب عند الله عزّ وجلّ صدّيقاً؛ وإيّاكم والكذب فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتّى يُكتب عند الله عزّ وجلّ كذّاباً»[٣].

البرّ في اللغة بمعنى الخير[٤]؛ ومعنى ذلك: أنّ الصدق يقود الإنسان إلى كلّ ما هو خير، وتقدّم معنى البرّ في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ

---

(١) الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي البيان: ج٧، ص٢٤٠.
(٢) التوبة: آية١١٩.
(٣) ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ج١، ٣٨٤. وفي مصادرنا رواه ابن ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٢٨٦.
(٤) أُنظر: الزبيدي، محمّد مرتضى، تاج العروس: ج٦، ص٦٩.

ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1]؛ فإنّها تعطي ضابطة في تحديد معنى البرّ، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والنبيّين، وهذا في الجانب العقائدي. وإيتاء المال والزكاة، والوفاء بالعهد في الجانب الاجتماعي. وإقامة الصلاة في الجانب العبادي. والصبر على البأساء والضرّاء في الجانب النفسي. هذه الجوانب بأجمعها تشكّل معنى البرّ؛ فلو طرحنا هذا السؤال وقلنا: مَن هو البارّ؟ لكان الجواب: إنّه المتّصف بهذه الأوصاف. ولو تساءلنا، ما علاقة هذه الأوصاف بالصدق؟ لكان الجواب: إنّ مَن يتّصف بهذه الأوصاف هو الصادق، كما تصرّح بذلك الآية الكريمة، حيث قالت: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ فمَن اتّصف بهذه الصفات هو الصادق، وهي تُشعر بأنّ الصدق هو وراء اتّصاف الإنسان بهذه الأوصاف، فلولا صدقه في الإيمان، وإيتاء المال والوفاء بالعهد... لما كان مستحقّاً لهذا الوصف.

إذن، الصدق هو منشأ هذه الصافات، وهي بأجمعها تشكل معنى البرّ؛ فالصدق يهدي إلى البرّ.

وممّا يؤكّد هذا المعنى ما جاء في بعض الأحاديث من أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، «**فقال: يا رسول الله، ما عمل أهل الجنّة ؟ قال: الصدق، إذا صدق**

---

(١) البقرة: آية١٧٧.

العبد برّ، وإذا برّ آمن، وإذا آمن دخل الجنّة»[١]. فالسائل سأل عن العمل الذي يؤدّي بصاحبه إلى الجنّة، فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله: بأنّه الصدق، ثمّ بيّن له سبب ذلك، فقال: إذا صدق العبد برّ، فالصدق يقود إلى البرّ، وإذا برّ العبد فقد آمن؛ فالبرّ يقود إلى الإيمان، والإيمان يقود إلى الجنّة.

ونحن في الحياة كثيراً ما نتعرّض لمواقف محرجة، كما لو رجع الشاب ـ مثلاً ـ إلى البيت في ساعة متأخّرة من الليل وسأله أبوه: أين كنت؟ فهنا قد يصعب عليه أن يُخبره الحقيقة، وهي أنّه كان مع أصدقائه في المقهى يدخّن السجائر، ويشاهد بعض البرامج غير المشروعة في تلفاز المقهى؛ لأنّه يعلم أنّ أباه لا يقبل بذلك، فهو بين أن يقول الحقيقة وبين أن يكذب ويزعم أنّه كان في مكان آخر. أو ـ في مثال آخر ـ رجع الشاب من المدرسة مبكّراً؛ لأنّه لم يدخلها إطلاقاً في ذلك اليوم، فعندما يسأله أبوه لماذا رجعت مبكّراً فقد يصعب عليه قول الحقيقة، خوفاً من ردّة الفعل، فلذا يفكّر في الكذب، إلى غير ذلك من المواقف المحرجة، والتي قد يعمد فيها الإنسان إلى الكذب ظنّاً منه أنّه سينجو من الموقف، ولكنّ الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تقول عكس ذلك، وأنّ النجاة لا تكون بإخفاء الحقيقة وإنّما تكون بقولها، **فعن أمير المؤمنين** عليه السلام: «**الزموا الصدق فإنّه مَنْجاة**»[٢].

فأمير المؤمنين عليه السلام يرى أنّ النجاة في نفس الصدق وقول الحقيقة، وليس في إخفائها وتغييبها.

---

(١) النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج٨، ص٤٥٧.
(٢) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، الخصال: ص٦١٤.

ولو تأمّلنا في مفردة (مَنْجاة)؛ لوجدنا أنّها جاءت مطلقة، غير مقيّدة بشيء، ولنا أن نتسائل على ماذا يدلّ ذلك؟ لكان الجواب أنّه يدلّ على أنّ الصدق يُنجي صاحبه في كلّ المواطن، وليس في الآخرة فقط، وعند الحساب، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1]، فهذه الآية تتحدّث عن نجاة الصادقين في الآخرة، والحديث يُشير إلى النجاة مطلقاً؛ أي: ما يشمل عالم الدنيا، فالصدق يُنجي الإنسان في الكثير من المواقف في عالم الدنيا أيضاً، وليس فقط في عالم الآخرة، وهناك الكثير من الشواهد التي تُثبت نجاة الصادقين من بطش الظالمين وحكّام الجور؛ فهذا مؤمن فرعون أنجاه الله سبحانه من يد فرعون، وقد قال كلمة الحقّ أمامه، ودعا الناس إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده وتصديق نبوّة موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾[2]، ومن الشواهد ما رواه المؤرّخون من أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي، كان يخطب فأطال، فقام رجل، فقال: الصلاة! الوقت لا ينتظرك والربُّ لا يعذرك، فأمر بحبسه فأتاه قومه، وزعموا أنّه مجنون، فإن رأى أن يخلي سبيله. فقال: إن أقرَّ بالجنون خلّيته،

---

(١) المائدة: آية١١٩.

(٢) غافر: آية٤٤ ـ ٤٥.

فقيل له ذلك، فقال: معاذ الله! لا أزعم أنّ الله ابتلاني وقد عافاني، فبلغ ذلك الحجّاج فعفا عنه لصدقه[١].

ويُشير الإمام عليه السلام في قوله: «**الزموا الصدق**» إلى أنّ الصدق المنجي هو الذي يلازمه الإنسان دائماً، وفي مختلف المواقف والأحوال، ويحافظ على صدقه طوال حياته، ولا يكفي أن يصدق في بعض المواقف، فإنّ ذلك لا يُنجيه، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**عَلَامَةُ الإِيمَانِ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وأَلَّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ، وأَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ**»[٢]. وهو يفيد أنّ من علامات الإيمان أن تُؤثر الصدق الضارّ، على الكذب النافع، فلو كنت تعمل في مكان معيّن، وكانت الأُجرة تتوزّع على عدد ساعات العمل، وكنت قد تأخّرت بعض الساعات، ولمّا جاء وقت الحساب سألك صاحب العمل عن عدد ساعات عملك، فإن أخبرته الحقيقة نقّص من أُجرتك، فدخل عليك الضرر، وإن كذبت عليه أعطاك أُجرةً كاملة، فنفعك الكذب، في مثل هذا الموقف يظهر إيمان المؤمن، وتنكشف حقيقته من زيفه، فإذا قلت الحقيقة، تضرّرت ماديّاً لكنّك ربحت الإيمان، وإذا كذبت، ربحت ماديّاً، ولكنّك خسرت إيمانك وتقواك، ومن جانبٍ آخر أنّك كسبت ثقة الآخرين بك، فرئيسك في العمل

---

(١) أُنظر: الأحمدي الميانجي، الشيخ علي، مواقف الشيعة: ج٢، ص١٥٥.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، (تحقيق: صبحي الصالح): ص٥٥٦.

أصبح يثق بك أكثر من السابق، بسبب صدقك، وقد ينعكس ذلك إيجاباً على طبيعة تعامله معك، وتعامل الآخرين معك؛ فالمجتمع يحترم الصادق بلا شكٍّ.

ومن الطبيعي ليس المراد من الصدق الضارّ ما يؤدّي إلى الهلاك، أو هتك العرض أو إيذاء الآخرين، وأمثال ذلك؛ وإنّما المراد الضرر الذي يمكن تحمّله.

إنّ إخفاء الحقيقة وعدم البوح بها يقودنا ـ في الكثير من الأحيان ـ إلى المآسي والمصائب، ويكلّفنا الكثير من الخسائر، نعم عندما نقول الحقيقة قد نخسر بعض الشيء، فقد نخسر الاعتبار والتقدير، وأحياناً نتعرّض لعقوبة ولكنّ ذلك آنيّاً ومؤقّتاً، ولكنّ نتائجه في النهاية إيجابيّة، فإذا ما أخبر الشاب أباه أنّه لم يكن في المدرسة، وإنّما كان يلعب مع أصدقائه حتّى ضاع عليه الوقت، قد يتعرّض للتوبيخ والتجريح، ولكنّه ـ في نهاية الأمر ـ سوف ينتفع؛ إذ يشعر الأب حينئذٍ بضرورة متابعة ولده ولزوم مراقبته، وقد ينعكس ذلك إيجاباً على حياة هذا الشاب فينتظم في مدرسته.

أو عندما تُخبر الفتاة أُمّها بأنّها على علاقة مع شابٍّ وتقوم بمراسلته وقد تلتقي به، فإنّها قد تتعرّض لنوعٍ من العقوبة، ولكنّها بعد ذلك قد تتمكّن من النجاة من الخطأ الذي هي عليه، فلربّما يتّضح لعائلتها أنّه شابٌّ كفوء فيتزوّجها، أو يتّضح العكس فيقوم أهلها بمنعها من هذا المصير المرعب.

المهم الصدق في نهاية الأمر يقود صاحبه إلى النجاة، ولِمَ لا نجرّب ذلك في المواقف التي تحصل معنا؛ لنرى النتائج التي سنحصل عليها، ألسنا نؤمن بالله

تعالى والنبيّ وأهل بيته؟ وأنّ كلامهم حقٌّ وصدق، وها هم يخبرونا أنّ النجاة في الصدق.

والصدق لا يُنجي الإنسان فقط في المواقف الحرجة، بل يجعل عمله زاكياً ونامياً وطيّباً، تماماً كعطر العود الذي كلّما ازداد اشتعالاً ازدادت رائحته طيباً، فالصادق يزداد عمله ويزكو كلّما حافظ على صدقه: فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**مَن صدق لسانه زكى عمله**»[1].

ولنا أن نسأل ما علاقة الصدق بزكاة العمل، وكيف يكون صدق اللسان موجباً لزكاة العمل؟ وفي الحقيقة قد طُرحت عدّة إجابات لهذا السؤال، ولكنّنا نجد أنّ الإجابة المناسبة هي أنّ الصادق في لسانه لا يستطيع أن يكذب، فلو أراد أن يسرق، وسأله شخص ماذا تريد أن تفعل؟ لما أمكنه الكذب، ولقال له: أريد أن أسرق، ولو همّ بالزنا، وسأله آخر عن قصده، لأخبره... إلى غير ذلك. وهو شيء لا يستطيع مواصلته؛ إذ سيفقد كرامته، ومكانته، ولعرّض نفسه للمشاكل، وحينئذٍ لا سبيل له سوى الاستقامة، والصلاح؛ وبهذا يزكو عمله ويخلص، ويُشير إلى هذا المعنى ما جاء في بعض الأحاديث من أنّ رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: «**أستسرّ بخلالٍ أربع: الزنا، وشرب الخمر، والسرق، والكذب، فأيّتهنّ شئت تركتها لك؟ فقال صلى الله عليه وآله: دع الكذب، فلمّا ولى همّ بالزنا، فقال: يسألني، فإن جحدت نقضت**

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٤.

ما جعلت له، وإن أقررت حددت، ثمّ همّ بالسرق، ثمّ بشرب الخمر، ففكّر في مثل ذلك، فرجع إليه فقال: قد أخذت عليّ السبيل كلّه، فقد تركتهنّ أجمع»[١].

فعندما يعلم الإنسان أنّ المجتمع سيطّلع على سيّئاته ومعاصيه، بسبب صدقه وصراحته، فإنّه سيكون بين أمرين؛ إمّا ترك الصدق، وإمّا ترك السيّئات والمعاصي، والأوّل خلاف الفرض؛ لأنّ المفروض أنّه صادق في لسانه؛ فيتعيّن الثاني وهو ترك السيّئات والمعاصي، وهو يقتضي زكاة العمل وخلوصه.

وتتحدّث الروايات عن وجود منشأٍ للصدق ودافعٍ؛ وهو المروءة، وأنّ بينهما علاقة طرديّة، فكلّما زادت مروءة الإنسان زاد صدقه، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِه، وصِدْقُه عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِه**»[٢].

والمروءة هي ما يمارسه الإنسان ويحرص عليه من الأفعال الحميدة، واجتناب ما يعود عليه بالنقص حتى لو كان مباحاً[٣]، فتناول الطعام في الشارع مثلاً، وإن كان مباحاً وجائزاً ولكنّه ليس شيئاً لائقاً ومناسباً للشخص المحترم، أو ارتداء الملابس غير اللائقة أمام الناس، أو غير ذلك ممّا ينتقده العرف ويذمّه، فإذا كان الإنسان حريصاً على مثل هذه الأُمور فمن الطبيعي أنّه لا يكذب؛ لأنّ الكذب ممّا يُنقص قدر الإنسان، ويحطّ من قيمته أمام أعين

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ج٤، ص٣٤٠.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، (تحقيق: صبحي الصالح): ص٤٧٧.
(٣) أُنظر: البحراني، ابن ميثم، شرح نهج البلاغة: ج٥، ص٢٦٧.

الناس، فإذا كانت النفس تسمو بصاحبها عن الضحك بصوتٍ عالٍ أمام الناس تجنّباً لذمّه والتقليل من شأنه، فمن باب أولى أن تسمو النفس وتربأ بصاحبها عن الكذب الذي هو مجلبة للذمّ والقدح والسخرية والاستهزاء؛ وعلى هذا الأساس نصل إلى التالي: وهو أنّ الإنسان إنّما يحافظ على صدقه بمقدار مروءته؛ لأنّه كلّما حرص على مكانته بين الناس حرص على الصدق وقول الحقّ وفعله، بخلاف ذلك الوضيع الهابط الذي لا يهمّه ما قيل فيه وما يُقال عنه؛ فإنّه لا يُبالي فيما لو ذمّه الناس وقلّلوا من قدره.

وبما أنّ الصدق من تلك الصفات المرتبطة بالمروءة، ورفعة النفس وسموّها؛ لذا كان من الضروري أن تُلحظ النتائج التي تترتّب على الصدق فلربّما تترتّب على كشف الحقيقة الكثير من النتائج التي تضع صاحبها وتقلّل من مكانته، وإذا ما ترتّب ذلك لم يكن الصدق فضيلة، ولم يكن حينئذٍ شيئاً نبيلاً، ولذا كانت المروءة أحياناً تحتّم على الصادق أن يكتم بعض الأشياء التي لا يصحّ البوح بها، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولا تكُ صادقاً حتّى تكتم بعض ما تعلم**»[1].

كثيرة هي الأشياء التي نعلمها ونعرفها، وليس من الصواب أن نُخبر بها الآخرين، وليس من الحكمة أن يطّلعوا عليها؛ لأنّهم لا ينتفعون بها على أقلّ التقادير، إذا لم نقل إنّهم سيتضرّرون بها أو يضرّون غيرهم، وفي الحديث

---

(١) الشافعي، محمّد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص٢٧٣.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قام عيسى بن مريم عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلوهم**»[1]. وخير شاهد على ذلك قصّة السامريّ الذي أضلّ الناس وخدعهم، بعد أن غاب موسى عليه السلام عنهم فترة من الزمن، ولمّا رجع موسى عليه السلام وسأله عن الطريقة التي أضلّ بها الناس، قال في قوله تعالى عن لسانه: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾[2]، فقد جاء في بعض تفاسير الآية أنّ معناه: علمت ما لم يعلموا من البصيرة [3]؛ وهذا من نتائج أن تكون الحكمة عند غير أهلها.

وفي الحديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، «**إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**»[4]، فإنّ الناس يتفاوتون في مستوياتهم الثقافيّة والمعرفيّة؛ ولذا ليس من الصحيح أن يطّلعوا على كلّ شيء، بل لا بدّ أن يعرفوا ما يتمكّنون من تحمّله وفهمه والعمل به.

والخلاصة: أحياناً تقتضي الحكمة أن نكتم الحقيقة عن بعض الناس؛ لأنّ معرفتها بالنسبة إليهم مفسدة وذات نتائج سلبيّة، والإمام عليه السلام قد اعتبر

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٤٢.
(٢) طه: آية٩٦.
(٣) أُنظر: الطبرسي، داوود، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٧، ص٥١.
(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٣.

كتمان الحقيقة عن بعض الناس من الصدق، فلو لم يكتمها لما استحقّ وصف الصدق، ولعلّ السرّ في ذلك يرجع إلى أنّ مَن لا يكتم ما ينبغي أن يُكتم يُوقع بعض الناس في الشبهات والضلالات، فهو عندما أخبرهم الحقيقة قد غشّهم وضلّلهم؛ ولذا فهو لم يصدق معهم في نواياه ودوافعه.

وينبغي أن لا نغفل عن ظاهرة نقل الأحاديث والروايات دون تأنٍّ وتروٍّ؛ فإنّها ـ للأسف ـ من الظواهر الشائعة لاسيّما بعد التقدّم التكنولوجي الهائل في تبادل المعلومات من خلال مواقع الإنترنت، وبرامج التواصل الاجتماعي، فهناك الكثير من الروايات المنسوبة إلى النبيّ وأهل بيته، بل والفتاوى المنسوبة إلى الفقهاء وغير ذلك ممّا لا أساس لها من الصحّة، بل أحياناً تُسيء إلى أصحابها؛ فلذا نأمل من شبابنا المؤمن الواعي أن يتحرّى الصدق والدقّة في نقل مثل هذه الأُمور، فقد يُساء فهم الإسلام بسبب هذا النقل العشوائي غير المدروس، والمناسب هو الرجوع في مثل ذلك إلى المختصّين في هذا المجال، وهذه الظاهرة ليست وليدة اليوم بل هي قديمة؛ ولذا نجد الأئمّة عليهم السلام يأمرون أتباعهم بتعلّم الصدق أوّلاً، ثمّ تعلّم نقل الحديث بعد ذلك، فقد روى عمر بن أبي المقدام أنّه لمّا دخل على الإمام الباقر عليه السلام أوّل مرّة، قال له الإمام عليه السلام: «**تعلّموا الصدقَ قبل الحديث**»[1].

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٤.

وعمرو بن أبي المقدام كان من الرواة والمحدّثين[١]، فيبدو أنّه قد دخل على الإمام الباقر عليه السلام، لتعلّم الحديث والفقه؛ لذا أرشده الإمام إلى قضيّة هي أسبق من تعلّم الحديث، ويجب أن يتعلّمها المحدّث قبل تعلّمه للحديث؛ ألا وهي الصدق.

ولنا أن نتساءل عن المقصود من تعلّم الصدق قبل الحديث، فإنّ الذي يتعلّم الحديث يكفي أن ينقله إلى الآخرين بأمانة وصدق، وهذا ممّا لا يحتاج إلى تعلّم، فلماذا لم يكتفِ الإمام بنهيه عن الكذب، كأن يقول له: تعلّم الحديث ولا تكذب؟ فهل يُشير الإمام إلى شيءٍ آخر؟

يمكن أن يكون المقصود: عليك أن تتعلّم الصدق قبل أن تتكلّم في أيّ شيء؛ كي تتجنّب الكذب، والمقصود من تعلّمه بناءً على هذا المعنى: معرفة وجوب الصدق، وأنّه يجب على كلّ مكلّفٍ أن يكون صادقاً في كلامه وأميناً في نقل الأخبار، وأن يتحرّى الدقّة عند نقل الكلام، ومتى يسوّغ له الكذب، أو التورية، فالمطلوب هو التفكّر في الكلام قبل النطق به، وأنّه حقٌّ أو باطل[٢].

كما يمكن أن يكون المعنى: تعلّموا قواعد الحديث؛ كجواز النقل بالمعنى، ونسبة الحديث المأخوذ عن واحد من الأئمّة عليهم السلام إلى آبائه أو إلى الرسول صلى الله عليه وآله، أو تبعيض الحديث، وأمثال ذلك[٣].

---

(١) أُنظر: ترجمته في موسوعة طبقات الفقهاء، تأليف اللجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام: ج٢أ ص٤٢١.

(٢) المازندراني، محمّد صالح، شرح أُصول الكافي: ج٨، ص٣١٥.

(٣) المجلسي، محمّد تقي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج٨، ص١٨٢.

ويؤيّد هذا المعنى ما ورد في العديد من الروايات من تعليم قواعد الحديث، وأنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يعلّمون أصحابهم من الرواة والمحدّثين كيفيّة أخذ الحديث وتعلّمه ونقله، ونحو ذلك.

فعن محمّد بن مسلم قال: «**قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديث منك فأزيد وأُنقص؟ قال: إن كنت تريد معانيه فلا بأس**»[1].

وعن أحمد بن عمر الحلال قال: «**قلتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام: الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول: اروه عنّي يجوز لي أن أرويه عنه؟ قال: فقال: إذا علمت أنّ الكتاب له فاروه عنه**»[2].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام إذا حدّثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدّثكم؛ فإن كان حقّاً فلكم، وإن كان كَذِباً فعليه**»[3]، إلى غيرها من الأحاديث التي يُعلّم الأئمّةُ أتباعهم كيفيّة أخذ الحديث ونقله وروايته، فمن القريب أن يكون الحديث المبحوث عنه في ضمن هذا الإطار؛ لأنّ تعلّم الصدق في نقل الحديث بات ضرورة مُلحّة في ظلّ انتشار الأحاديث المكذوبة، واختلاطها بالأحاديث الصحيحة التي يحتاج اكتشافها إلى وسائلَ وطرق معيّنة علّمها أهلُ البيت عليهم السلام لتلامذتهم.

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٥١.
(٢) المصدر السابق: ج١، ص٥٢.
(٣) المصدر السابق.

إذن، فالصدق ضرورة دينيّة للحفاظ على الموروث الديني، من أحاديث، وتاريخ، وسيرة، وآراء فقهيّة، وغيرها.

إذن، لا شكّ أنّ الصدق من أنبل الكمالات الأخلاقيّة، وأجلّ الصفات الراقية التي تسمو بصاحبها وترفع من شأنه وقدره، وقد استمعنا من خلال ما تقدّم إلى بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة؛ التي تؤكّد على أهمّيّة الصدق، وضرورة المحافظة عليه في كلّ مجالات الحياة؛ لما فيه من آثار ومنافع جمّة، سنقف على تفاصيلها أكثر في فصلٍ لاحق.

الفصل الثاني

الصدق ... مجالات وميادين

الفصل الثاني: الصدق ... مجالات وميادين

لا ينحصر الصدق باللسان فقط، بل يشمل الاعتقاد، والنيّة، والعزيمة، والإرادة، والوعد، والفعل، والسلوك أيضاً، كلّ هذه المجالات ينبغي أن يكون الإنسان فيها صادقاً، وكما أنّ للصدق مجالات؛ وهي اللسان، والفعل، والنيّة، ونحو ذلك، كذلك هناك ميادين له ومواطن، فالإنسان معنيّ لأن يكون صادقاً مع خالقه وربّه، ومع نبيّه وأئمّته، ومع نفسه وذاته، ومع عائلته وأصدقائه، وغير ذلك من ميادين الإنسان ومواطنه التي يعيش فيها أو يتعامل معها؛ ولذلك سيكون حديثنا أوّلاً عن مجالات الصدق ثمّ نتحدّث بعد ذلك عن ميادينه.

مجالات الصدق وأنواعه

نستطيع أن نذكر مجالات الصدق بالشكل التالي:

١ـ صدق الحديث

وهو من أبرز أنواع الصدق وأوضحها، ومن الشائع استعمال لفظ الصدق فيه، ففي الذكر الحكيم: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[١]، وقال عزّ مِن قائل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[٢]. وفي الحديث: «**الصدق أمانة اللسان**»[٣]،

---

(١) النساء: آية٨٧.

(٢) النساء: آية١٢٢.

(٣) الليثي الواسطي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٧.

وأيضاً: «**إنّ أشدّ الناس تصديقاً للناس أصدقهم حديثاً، وإنّ أشدّ الناس تكذيبا أكذبهم حديثاً**»[١]، إلى غيرها من النصوص التي تستعمل وصف الصدق في اللسان كثيراً.

وقد عدّ أهل البيت عليهم السلام صدق الحديث ممّا يُختبر به صلاح الإنسان واستقامته، ولا يُختبر بمثل الصلاة والصوم، ففي الحديث، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإنّ الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتّى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة**»[٢]، فعن الجوهري: «اللهج بالشيء: الولوع به. وقد لهج به بالكسر يلهج لهجاً، إذا أغرى به فثابر عليه»[٣]. وفي حديث آخر، قال أبو عبد الله عليه السلام: «**لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده؛ فإنّ ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته**»[٤]، وهذان الحديثان يشيران إلى نقطتين مهمّتين:

١ـ إنّ العبادات ذات الطابع الشخصي؛ مثل: الصلاة، والصوم، والاعتكاف، والأدعية والأذكار، ونحوها، لا تكشف عن صلاح الإنسان في ذاته ونفسه؛ لأنّها لا تمثّل اختباراً حقيقيّاً لمدى صلاحه وتقواه، وإنّما الذي

---

(١) السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير: ج١، ص٣٣٦.
(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٤.
(٣) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج١، ص٣٣٩.
(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٥.

يكشف عن ذلك هو الجانب العملي والسلوكي في حياة الإنسان، فمن خلال تعامله مع الآخرين، يمكن اكتشاف مدى استقامته، وقد ورد: «**الدين المعاملة**»[١]، وأساس المعاملة صدق الحديث وأداء الأمانة، فكلّ المعاملات ترجع إلى هذين الأساسين؛ فالغشّ، والخديعة، والمماطلة في تسديد الدين أو إعطاء الحق، والشهادة على الحقوق، ونحوها، كلّها ترجع إلى الصدق والأمانة، فمَن كان صادقاً في لسانه، وأميناً في تعامله مع الناس؛ فذاك هو الصالح والمستقيم.

٢ـ أنّ الرغبة في ترك العبادة ربّما لا تكون شديدة، لا سيّما لَمن يعتاد عليها، بل بالعكس ربّما بسبب الاعتياد على فعلها ترغب نفسه إلى فعلها، وتتوق إليها، بحيث لو تركها لأحسّ بالوحشة؛ لأُنسه النفسي بها، واعتياده عليها، بينما في مثل الصدق وأداء الامانة ليس الأمر كذلك؛ لأنّ الرغبة ـ أحياناً ـ تتعلّق بترك الصدق، وخيانة الأمانة؛ لما يترتّب على ذلك من آثار، فعندما يكون الحقّ على نفس الشخص فمن الصعب عليه أن يعترف؛ لأنّ الاعتراف سيحمّله المسؤوليّة، فيكون الصدق في المقام دليلاً واضحاً على صلاحه وتقواه؛ لأنّ الصدق كان على خلاف رغبته.

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار: ج٣، ص١٠٣، ينبغي الالتفات إلى أنّ هذا النص «الدين المعاملة» على الرغم من شيوعه واشتهاره على أنّه حديث نبويّ، إلّا أنّنا لم نجد له في الموروث الحديثي السنّي والشيعي عيناً ولا أثراً، وقد خرّجناه من المصدر المذكور؛ لأنّه أقدم مصدر عثرنا عليه، وقد ذكره كحديث.

إذن، صدق اللسان من أهمّ علامات الصلاح والتقوى؛ ولهذا عُدّ ذلك من علامات أهل الدين، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «**إنّ لأهل الدين علامات يُعرفون بها: صدق الحديث...**»[1].

٢ـ صدق الوعد

الوفاء بالوعد من الصفات النبيلة، والخلال الطيّبة التي تُعطي لصاحبها مكانةً مميّزة عند الآخرين، وهناك بعض الشخصيّات قد عُرفت بهذه الصفة، وتميّزت بها من بين سائر الصفات التي تتحلّى بها، فقد أثنى القرآن الكريم على أحد أنبيائه لتميّزه بهذه الصفة، مع أنّه يمتلك من الصفات النبيلة الأُخرى الشيء الكثير، بل له قدم السبق في جميع الصفات العالية لكونه معصوماً، ومع ذلك فقد أكّد القرآن على هذه الصفة المهمّة، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[2]، وقد ورد في أحاديثنا أنّ المقصود ليس إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وإنّما هو إسماعيل بن حزقيل عليه السلام، بعثه الله تعالى إلى قومه فسلخوا جلده، فعن الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ إسماعيل الذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾، لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه**

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٣٩.
(٢) مريم: آية٥٤.

فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه مَلَك، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال: لي أُسوة بما يُصنع بالحسينعليه السلام»[١].

وعن منصور بن حازم، عن الصادق عليه السلام قال: «**إنّما سُمّي إسماعيل** عليه السلام **صادق الوعد؛ لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة، فسمّاه الله صادق الوعد، ثمّ إنّ الرجل أتاه بعد ذلك، فقال له إسماعيل: ما زلتُ منتظراً لك**»[٢].

وقد عُرف بهذا الخُلق نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله قبل البعثة، بل في صباه، فقد رُوي أنّه صلى الله عليه وآله «**كان يخرج في صباه بغنم له إلى الصحراء، فقال له بعض الرعاة: يا محمّد إنّي وجدت في موضع كذا مرعى خصيباً، فقال** صلى الله عليه وآله: **نخرج غداً إليه، فبكّر** صلى الله عليه وآله **من بيته إلى ذلك الموضع، وأبطأ الرجل في الوصول، فرأى رسول الله** صلى الله عليه وآله **وقد منع غنمه أن ترعى من ذلك المرعى حتّى يصل ذلك الرجل فيرعيا معاً**»[٣].

ولشدّة حرصه صلى الله عليه وآله على الوفاء بالوعد كان يتوخّى الدقّة في الموعد والمكان، ويتجّنب التساهل في مثل هذه الأُمور، والشاهد على ذلك ما رواه عبد الله بن سنان، قال: «**سمعتُ أبا عبد الله** عليه السلام **يقول: إنّ رسول الله** صلى الله عليه وآله **وعد رجلاً إلى صخرة، فقال: أنّى لك هاهنا حتّى تأتي، قال: فاشتدّت الشمس عليه،**

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، علل الشرائع: ج١، ص٧٨.
(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٥.
(٣) الراوندي، قطب الدين، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح: ج٢، ص٩٠٦ـ٩٠٧.

فقال أصحابه: يا رسول الله، لو أنّك تحوّلت إلى الظل؟ قال: قد وعدته إلى هاهنا وإن لم يجئ كان منه المحشر»[١].

ويجدر بنا الالتفات إلى هذه النقطة المهمّة؛ وهي الدقة في المواعدة، وتحديد المكان، وما يلازم ذلك من أُمور، فإنّنا ـ في بعض الأحيان ـ قد نتساهل في الوقت، فإذا ما كان الوعد يقتضي الحضور في الساعة الثامنة صباحاً ـ مثلاً ـ تجد البعض يتساهل ويتهاون في ذلك فيأتي في الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة أو حتّى أكثر من ذلك، وأحياناً يكون التهاون في تحديد المكان؛ فقد يحضر الشخص في مكان قريب من مكان المواعدة ويقول: إنّني في نفس المكان.

وفي هذه القصّة يريد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يعلّمنا أهمّيّة الوفاء بالوعد أوّلاً، وأهمّيّة الدقّة في ذلك، بحيث لم يتحرّك صلى الله عليه وآله من الصخرة التي واعد الرجل عندها، على الرغم من شدّة الشمس وحرارتها، فهو يحبّذ أن يعرّض نفسه لحرارة الشمس على أن يعرّض مكانته وكرامته لألسنة الناس.

٣ـ صدق النيّة والإرادة

والمقصود أن تكون نيّة الإنسان صادقة، لا يشوبها شكٌّ أو تردّدٌ، في قِبال مَن ينوي شيئاً وهو متردّدٌ فيه، وسواء تحقّق ما نواه في الخارج أو لم يتحقّق، فإنّ المهمَّ هو أن يكون صادقاً ومخلصاً حين عقد النيّة.

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، علل الشرائع: ج١، ص٧٨.

والنيّة الصادقة أفضل من العمل نفسه؛ لأنّ النيّة هي أساس العمل ودافعه، وهي الكاشف الحقيقي عن سبب العمل ووجوده، وعن الغاية منه، وفي الحديث: «**إنّما الأعمال بالنيّات، ولكلّ أمرئٍ ما نوى**»[١]، فإنّ الذي يتصدّق على الفقراء لحفظ الجاه والمكانة الاجتماعيّة، لا يُعتبر عمله من البرّ الذي دعت له الشريعة، والذي يقاتل مع المسلمين، لا لأجل الدفاع عنهم وحمايتهم، بل لأنّ عدوّاً له في صفوف أعداء المسلمين، فإنّ فعله وإن كان بحسب الظاهر جهاداً ودفاعاً عن الإسلام، ولكنّه في حقيقته ليس كذلك، وفي جانب آخر قد ينوي الإنسان نيّة صادقة، ولكن لا يتيسّر له الفعل، فإنّ الله سبحانه يعدّ ذلك منه بمثابة مَن أتى بالفعل، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**نيّة المؤمن أفضل من عمله؛ وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يُدركه، ونيّة الكافر شرٌّ من عمله؛ وذلك لأنّ الكافر ينوي الشرَّ ويأمل من الشرّ ما لا يُدركه**»[٣]، وفي هذا الحديث يُعلّل الإمام عليه السلام أنّ نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرٌّ من عمله، بأنّ المؤمن ينوي الخيرَ الكثير

---

(١) الطوسي، أبو جعفر، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٤، ص١٨٦.
(٢) التوبة: آية٩١ ـ ٩٢.
(٣) الصدوق، محمّد بن علي، علل الشرائع: ج٢، ص٥٢٤.

ولكنّ عمله أحياناً يقصر عن بلوغه، فهو مثلاً ينوي أن يُطعم كلّ جائع في بلده، ولكنّه لا يقدر إلّا على مقدار قليل منهم، والكافر ينوي أن يُفسد كلّ مسلمٍ ولكنّه لا يقدر إلّا على القليل منهم.

ونقرأ في روايات أُخرى تفسيراً آخر لأفضليّة النيّة على الفعل، فعن الإمام الصادق عليه السلام ـ في الجواب عن علّة فضل نيّة المؤمن على عمله ـ: «**لأنّ العمل ربّما كان رياءً للمخلوقين، والنيّة خالصة لربّ العالمين، فيُعطي تعالى على النيّة ما لا يُعطي على العمل**»[1]، فقد ينوي المؤمن إعانة المحتاجين نيّةً خالصة، لا يشوبها رياءٌ ولا سمعةٌ، ولكنّه بعد العمل قد يتأثّر بمدح المادحين، وثناء الآخرين، فيداخل عمله الرياء؛ فلذا تكون نيّته خيراً من عمله.

٤ـ صدق العزيمة

العزيمة هي قصد مؤكّد وعقد القلب على الفعل، وتختلف عن النيّة في أنّ النية مجرّد قصد ليس فيها ذلك التأكيد، فالفرق بينهما من جهة الشدّة والضعف، فإنّنا ننوي العمل أحياناً ولكنّنا لا نحرص كثيراً على فعله؛ لأنّنا لا نجد في أنفسنا ذلك العزم وذلك الإصرار، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ**﴾[2]؛ أي: فإذا صمّمت وعقدت قلبك على الفعل وإمضائه؛ فتوكّل على الله.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) آل عمران: آية١٥٩.

وممّا يؤكّد ذلك ما جاء في كتب اللغة في معنى العزم من أنّه: «**عقد القلب على إمضاء الأمر، يُقال: عَزَمْتُ الأمرَ، وعَزَمْتُ عليه، واعْتَزَمْتُ**»[1]. فالعزم على الأمر بمعنى: عقد القلب عليه مع التأكيد.

والعزم ـ عادةً ـ يتطلّب أن يرفع الإنسان من نفسه موانع الفعل والعقبات التي قد تحول بينه وبين الإتيان به، ويوجّه كلّ مشاعره وأحاسيسه ودوافعه نحو الفعل، فنحن نقرأ في دعاء كميل: «**واشدد على العزيمة جوانحي**»[2]، فالعزيمة الصادقة تحتاج في تحققها إلى توافر باقي العوامل النفسيّة، بالإضافة إلى المقدّمات القريبة، فالذي ينوي السفر إلى مكانٍ معيّن، قد لا يمنع نفسه من التواني والتأخّر عن السفر إذا ما عرضت له نيّة أُخرى ومقصد ثانٍ، ولكنّه لو تحقّق منه العزم؛ لمنع نفسه من أيّ شيء يشغله عن السفر، ولبدأ بتجهيز لوازم السفر.

والصدق في العزم هو أنّ يكون حين العزم جادّاً وصادقاً، لا أن يُظهر العزم والإصرار ولكنّه في الواقع ليس كذلك، ثابتاً في عزمه، صبوراً، مهما تغيّرت الظروف وتبدلّت الأحوال، بينما الكاذب في عزمه فهو الذي يفتقد الثبات والصبر والمطاولة، وقد ضرب لنا القرآن الكريم أروع صور الثبات والوفاء بالعهد؛ منها قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن: ص٥٦٥.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، إقبال الإعمال: ج٣، ص٣٣٧.

فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

والمقصود أنّ هناك جماعة من المؤمنين عاهدوا الله سبحانه أن لا يفرّوا عند لقاء العدوّ، حتّى يرزقهم الله إحدى الحُسنيين؛ إمّا النصر، وإمّا الشهادة، فبعضهم رزقهم الله الشهادة، وبعضهم الآخر لا يزال ينتظر.

وقد تعدّدت آراء المفسّرين في المعنيين بها، فقد رُوي عن أنس قال: «**غاب عمّي أنس بن النضير، وبه سُميت أنساً، عن قتال بدر، فشقّ عليه لمّا قدم، وقال: غبتُ عن أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لئن أشهدني الله سبحانه قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلمّا كان يوم أُحد انكشف المسلمون فقال: اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك فيما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثمّ مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إنّي لأجد ريح الجنّة دون أحد، فقاتلهم حتّى قُتل، قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم، وقد مثّلوا به، وما عرفناه حتّى عرفته أُخته ببنانه**[2]، **ونزلت هذه الآية** ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ **قال: وكنّا نقول: أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه**»[3].

---

(١) الأحزاب: آية٢٣ ـ ٢٤.

(٢) «البنان: أطراف الأصابع». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٨، ص٣٧٢.

(٣) الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول: ص٢٣٨.

وروى الحاكم الحسكاني: «**عن ابن عبّاس أنّها نزلت في عليّ وحمزة وجعفر، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾؛ يعني: عليّاً [عليه السلام] كان] ينتظر أجله، والوفاء لله بالعهد والشهادة في سبيل الله، فوالله لقد رُزق الشهادة**»[1]. ولعلّ المتتبع يجد آراء أُخرى.

ويمكن أن تكون هذه الآراء من تطبيقات الآيات والمصاديق، فإنّها عامّة، مطلقة، شاملة لكلّ مؤمنٍ صادقٍ في عزمه، وفيٍّ في عهده.

ولهذا كان الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، يكرّر تلاوة هذه الآيات عندما يسقط أصحابه واحداً تلو الآخر، في ساحة المعركة، وهم مضرّجون بدمائهم الزكيّة[2].

وينبغي الالتفات إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ يُشير إلى نقطة مهمّة؛ وهي قضيّة الثبات على العزم، والوفاء بالعهد إلى آخر الحياة، وبهذا الوفاء وبهذه العزيمة استحقّوا وصف الصدق، حيث جاءت الآية التي بعدها لتقول: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾، فهم قد استحقّوا هذا الوصف؛ لأنّهم صدقوا في عهدهم وعزيمتهم، ولم يبدّلوا، ولم يغيّروا.

هكذا هو المؤمن الصادق، يمضي في إيمانه وطاعته لربّه، دون أن تثنيه الظروف، أو تبدّل عزيمته النوازل، أو تنقض عهده المغريات.

---

(١) الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ج٢، ص٦.

(٢) ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٠.

٥ـ صدق الإيمان

أحياناً يكون الإيمان إيماناً شكليّاً صوريّاً، لا ينعكس على الجوارح والأحاسيس، ولا يعدو كونه مجرّد ألفاظ ومظاهر سُرعان ما تنكشف حقيقته لأيّ طارئ، وهذا الإيمان هو الإيمان الكاذب، أو غير الحقيقي، وهناك الكثير من الناس قد فقدوا إيمانهم بسبب بعض المواقف والظروف، وما ذاك إلّا لأنّ إيمانهم لم يكن حقيقيّاً متجذّراً في أعماقهم، ومن شواهد هذا الإيمان غير الحقيقي قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1]، فإنّها قد نزلت في واقعة أُحد، عندما انشغل المسلمون بالغنائم، وظنّوا أنّ المعركة قد حُسمت لصالحهم، ولكنّ المشركين التفّوا من حول الجبل، وحوّلوا هزيمتهم إلى نصر، وقد كُسرت بعض أسنان النبيّ صلى الله عليه وآله، واسُتشهد كوكبة من المسلمين، منهم عمّ النبيّ حمزة بن عبد المطلب، وشيع أنّ النبيّ قد قُتل، «فانكفأ الناس عن النبي صلى الله عليه وآله، وما بقي معه إلّا قليل؛ منهم علي بن أبي طالب، وأبو دجانة الأنصاري، وقال البعض من الأصحاب: ليتنا نجد مَن يأخذ لنا الأمان من أبي سفيان، وقال آخرون: لو كان محمّد نبيّاً لم يُقتل، الحقوا بدينكم الأوّل»[2].

---

(١) آل عمران: آية١٤٤.

(٢) مغنية، محمّد جواد، التفسير الكاشف: ج٢، ص١٧٠.

بينما المطلوب في الإيمان أن يكون إيماناً راسخاً سليماً، لا يتغيّر بسبب المغريات ولا يتبدّل بتبدّل الظروف والأحوال، فالإيمان الصادق هو ذاك الإيمان الذي يجد المؤمن أثره في نفسه وعقله، وفي أحاسيسه وجوارحه، ويشهد لذلك ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لا يُمحض رجل الإيمان بالله؛ حتّى يكون الله أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأُمّه وولده وأهله وماله ومن الناس كلّهم**»[1]، فالمؤمن الصادق لا يتنازل عن إيمانه مهما كان الثمن، ومهما كانت النتيجة.

ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «**ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال؛ وقورٌ عند الهزاهز، صبورٌ عند البلاء، شكورٌ عند الرخاء، قانعٌ بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة؛ إنّ العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والرفق أخوه، واللين والده**»[2].

ومحل الشاهدّ «**وقور عند الهزاهز**»؛ أي: الفتن والانحرافات الفكريّة التي تعصف بإيمان الإنسان وتُذهب بعقله، فالمؤمن الصادق يتمتّع بالثبات أمام مختلف الشبهات التي تُثار بين الحين والآخر، ولكنّ هذا الثبات وهذا التماسك لا يأتي بدون مقدّمات وأسباب، تجعل المؤمن يتمتّع بهذه الصفة؛ إذ

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، فلاح السائل: ص١٠١.
(٢) المصدر السابق: ص٢٣١ ـ ٢٣٢.

لا بدّ من وجود مقدارٍ من العلم والوعي يُنير له الطريق عندما تُظلمه الفتن، ولا بدّ له من التأنّي والتدبّر والتأمّل، قبل أن يتخذ أيّ موقفٍ مستعجلٍ، قد يندم عليه فيما بعد، ويحتاج ـ أيضاً ـ إلى مقدار من الصبر يستعين به على المصاعب التي تعترض طريق المؤمن، ثمّ لا ينسى أن يعتمد على الله تعالى، ويتوكّل عليه في كلّ أُموره.

والقرآن الكريم مليء بقصص المؤمنين الصادقين، الذين تعرّضوا لشتّى أنواع البلاء والعذاب، فلم يتخلّوا عن إيمانهم، وفضّلوا الموت على ترك الإيمان والتخلّي عنه، فقد روى لنا القرآن قصّة زوجة فرعون؛ وهي آسيا بنت مزاحم التي آمنت بنبيّ الله موسى عليه السلام بعد أن رأت منه المعجزات، وكيف تغلّب على السحرة، وقد أخفت إيمانها عن فرعون حتّى كشف أمرها، فأمرها أن تترك هذه العقيدة وتعود إلى دينه، ولكنّها رفضت وأصرّت؛ فعذّبها لذلك أشدّ العذاب، حيث أوتدَ يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها في الشمس، وأمر أن تُلقى عليها صخرة عظيمة، فلمّا قربَ أجلها وشعرت بدنوّ موتها قالت كما جاء في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]؛ فرفعها الله تعالى إلى الجنّة[2].

---

(١) التحريم: آية١١.

(٢) أُنظر: الطبرسي، داوود، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١٠، ص٦٤.

كان بإمكان هذه المرأة المؤمنة أن تتخلّى عن دين موسى عليه السلام بكلمة واحدة، وترجع إلى ما كانت عليه من النعمة والعزّة ومباهج الحياة، ولكنّه الإيمان الحقيقي الذي وجدت فيه لذّةً لم تجدها في كلّ هذه اللذائذ، التي كانت قد تمتّعت بها؛ ففضّلت نعمة الإيمان على كلّ نعم الدنيا ومظاهرها.

وقد تعرّض المسلمون في بداية الإسلام إلى شتّى أنواع التعذيب والقتل، ولكنّهم صبروا وتحمّلوا، فقد ذكر المفسّرون أنّ «**جماعة أُكرهوا وهم: عمّار، وياسر أبوه، وأُمه سميّة، وصُهيب، وبلال، وخَبّاب؛ عُذّبوا، وقُتل أبو عمار وأُمّه، وأعطاهم عمّار بلسانه ما أرادوا منه. ثمّ أخبر سبحانه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال قوم: كفر عمّار، فقال صلى الله عليه وآله: كلّا إنّ عمّاراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه وجاء عمار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فقال صلى الله عليه وآله ما وراءك فقال شر يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه، ويقول: إن عادوا لك، فعد لهم بما قلت، فنزلت الآية**»[1]؛ وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ﴾[2].

وهذا سيّد الشهداء عليه السلام قد عُرضت عليه الدنيا بأسرها مقابل أن يتخلّى عن مبادئه، ولكنّه رفض أشدّ الرفض، ومضى قُدماً في طريق الموت

---

(١) المصدر السابق: ج٦، ص٢٠٣.
(٢) النحل: آية١٠٦.

والخلود[١]، وكان يقول: «**وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[٢]، فالسعادة تكمن فيما يحمله المرء؛ من قيم، ومُثُل، ومبادئ لا تقبل المساومة، يُحافظ عليها طيلة حياته؛ لأنّه بها يحيا وبها يبقى، إذ الإنسان إنّما يكون إنساناً بمبادئه وأهدافه الراقيّة.

والمجتمع بأمسّ الحاجة للمؤمن الصادق، صاحب المبادئ الثابتة، والقيم العالية؛ لأنّ هذا الإنسان هو الوحيد القادر على البناء والتطوير؛ إذ هو الوحيد الذي يُدافع عن قيم المجتمع ومبادئه أمام مختلف التيّارات والظروف، وهو الوحيد الذي يحرص على تكامل المجتمع وسعادته، ولذا تجده ـ فيما لو استشعر الخطر الذي يهدّد كيان المجتمع ـ في طليعة المتطوّعين للدفاع عنه وحمايته، بخلاف ذاك المؤمن الضعيف المهزوم الذي لا يفكّر إلّا في مصالحه الشخصيّة الآنيّة، وهذا النموذج ليس فقط لا ينتفع به المجتمع، بل قد يشكّل عائقاً في طريق الإصلاح والهداية؛ لأنه قد يُعقّد المشهد في ساعة الصراع بين الحقّ والباطل، وقد يشوّه الصورة ويجعلها أكثر ضبابيّة على المتابعة لسير الأحداث، ولعلّ هذا هو السرّ وراء تخيير الإمام الحسين عليه السلام مَن لحقه من الناس بين الانصراف عنه والبقاء معه، بعد أن أعلمهم بمقتل مسلم

---

(١) ينبغي الالتفات إلى أنّ موقف الإمام الحسين عليه السلام، يختلف عن موقف عمّار رضي الله عنه، فعمّار كان موقفه موقفاً شخصيّاً، لا يتوقّف عليه مصير أُمّة، وهذا بخلاف موقف الإمام الحسين عليه السلام، فإنّ مصير الأُمّة كان متوقّفاً على ثباته وإصراره.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١١٥.

بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر رحمهم الله، فقد ذكر المؤرّخون أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا وصل منطقة اسمها (زبّالة) وهو في طريقه إلى الكوفة بلغه مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر رحمهم الله؛ «**فأخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد، فإنّه قد أتانا خبر فظيع قَتْلُ مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطُر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمَن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منّا ذمام، قال: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً فأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة**»[1].

فكان المهمّ عنده عليه السلام أن يبقى معه أصحاب الإيمان الصادق؛ لأنّ هؤلاء هم مَن يُحققون تطلّعاته عليه السلام في التغيير والإصلاح.

٦ـ صدق الأفعال

«**وهو تطابق الباطن والظاهر، واستواء السريرة والعلانية، أو كون الباطن خيراً من الظاهر، بألّا تدلّ أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتّصف هو به**»[2]، ومن أمثلته مَن كان في ظاهره عفيفاً شريفاً، وهو في باطنه كذلك؛ فهذا هو صادق الفعال، وأمّا إذا لم يكن في باطنه كذلك؛ فهو كاذب الفعال.

وللمؤمن الصادق في قوله وفعله، صفات يُعرف بها قد أشارت لها الروايات؛ نذكر منها:

---

(١) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٠ـ ٣٠١.
(٢) النراقي، محمّد مهدي، جامع السعادات: ج٢، ص٢٥٩.

ما رُوي عن الإمام الكاظم عليه السلام من أنه قال: «**مَن سرّته حسنته، وساءته سيّئته؛ فهو مؤمن**»[١]؛ لأنّ غير المؤمن لا يبالي بما يصدر منه، أكان خيراً أو شرّاً، بينما المؤمن يدفعه إيمانه لمراقبة أعماله، فإن كانت حَسَنة دخل قلبه السرور والفرح، وإن كانت سيّئة حَزِن لذلك واغتمّ.

ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**إنّما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من حقٍّ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر ممّا له**»[٢]؛ لأنّه إذا خرج عن الحقّ فقد ظلم الآخر، فيمنعه الإيمان من الظلم والاعتداء على الآخر، بينما إذا غضب غير المؤمن فتراه يظلم ويعتدي ويتجاوز على حقوق الآخرين، فلو قُتل إنسان عمداً، جاز لوليّه أن يقتصّ من قاتله، كما يجوز له أن يأخذ بدل القصاص الديّة حقناً للدماء ودرءاً للفتنة مثلاً، فإذا كان وليّ المقتول مؤمناً لما تجاوز حقّه، على الرغم من شدّة غضبه، فلو اختار القتل لما قتل غير القاتل والمعتدي، ولو اختار الديّة لما أخذ أكثر من مقدارها الشرعي، بينما لو كان الوليّ غير مؤمن، أو كان إيمانه ظاهريّاً وليس حقيقيّاً، فإنّه لربّما يقتل غير القاتل، ويُعاقب غير الجاني كما يتّفق ذلك كثيراً، فبعض الناس إذا ما قُتل لهم قتيل قتلوا به مَن تمكّنوا منه من أرحام القاتل وأقربائه، أو يزيد على ذلك بحرق الدور والمنازل وتهجير العوائل، وفيما لو

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي، التوحيد: ص٤٠٨.
(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٣٣.

اختار الديّة فلربّما يختار أضعاف مقدارها الحقيقي، فالمؤمن يمنعه إيمانه من التماهي مع الغضب إلى حدّ الخروج عن الحدود الشرعيّة.

وإذا كان المؤمن يعيش في حالة من الرضا والسرور والانشراح النفسي، فإنّه لا يدخل بسبب ذلك في الباطل، فلو كان للمؤمن صديق عزيز، وقد صدرت منه بعض المعاصي، فإنّ الواجب يقضي أن ينصحه ويُرشده، ولا يصحّ أن يتجنّب ذلك خوفاً من فساد المودّة بينهما، أو حضر في مجلس فرح وسرور ثمّ في الأثناء تحوّل المجلس إلى مجلس غناءٍ ولهوٍ باطل، ففي هذه الحالة لا يصحّ له أن يبقى جالساً في هذا المكان حتّى لو دفعه الرضا والسرور إلى مواصلة الجلسة، بل يجب عليه الخروج ومغادرة المكان، إذا لم يمكنه منعهم من البطل؛ هذا هو حال المؤمن الصادق في إيمانه.

ويقابل الصادق في الأعمال المرائي؛ وهو الذي يقوم بالعمل، ولكن لا يقصد به وجه الله تعالى، وإنّما يقصد به الناس، فهو يقوم بالأعمال الصالحة، ينفق أموالاً طائلة على الفقراء والمحتاجين، ويقوم بالمشاريع الخدميّة العامّة، ويصلّي ويصوم ويدفع الحقوق، ولكنّه لا يفعل ذلك لمرضاة الله تعالى، وإنّما من أجل الناس؛ ليتقرّب إليهم، ويكسب ودّهم، ويصنع لنفسه مركزاً اجتماعيّاً، أو دينيّاً؛ وهذا هو الرياء، وهو آفة العبادة، كما في الحديث: «**آفة**[1]

(١) الآفة: عرض مفسد لما أصاب من شيء، أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٨، ص٤١٠. فيكون معنى الحديث: أنّ الرياء يُفسد العبادة.

العبادة الرياء»[١]، وهو الشرك الأصغر، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء»**[٢].

ومن جملة الكذب في الأفعال أن يقول الإنسان شيئاً، ولكنّه لا يفعله في الواقع، فمثلاً يتحدّث عن فضل قراءة القرآن، ولكنّه لا يقرأه، أو يتحدّث عن فضل المسارعة في الخيرات، ولكنّه لا يُسارع إليها مع قدرته عليها، ويكون كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[٣].

ونودّ في ختام هذا المجال من الصدق أن ننقل قصة رواها النسائي في سننه، وهي: «**أنّ رجلاً من الأعراب جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فآمن به واتّبعه، ثمّ قال: أهاجر معك، فأوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله بعض أصحابه، فلمّا كانت غزوة، غنم النبيّ صلى الله عليه وآله سبياً؛ فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلمّا جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبيّ صلى الله عليه وآله، فأخذه فجاء به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: ما هذا؟ قال قسمته لك، قال: ما على هذا اتّبعتك؛ ولكنّي اتّبعتك على أن أُرمى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت؛ فأدخل الجنّة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلاً، ثمّ نهضوا**

---

(١) الليثي الواسطي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص١٨٢.
(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٥، ص٤٢٨.
(٣) الصف: آية٢ ـ ٣.

في قتال العدوّ؛ فأُتي به النبيّ صلى الله عليه وآله يحُمل، قد أصابه سهمٌ حيثُ أشار، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه، ثمّ كفّنه النبيّ صلى الله عليه وآله في جبّة النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قدّمه فصلّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: اللّهمّ هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتل شهيداً، أنا شهيدٌ على ذلك»[1].

ميادين الصدق

تحدّثنا ـ فيما سبق ـ عن مجالات الصدق، وعرفنا أنّ الصدق تارة يكون في الحديث، وأُخرى في النيّة والإرادة، وثالثة في العزيمة، ورابعة في الفعل والسلوك ووو، وبقي علينا أنّ نتعرّف على ميادينه، فإنّ الصدق تارة يكون مع النفس، وأُخرى مع الله، وثالثة مع الناس؛ فإنّ هذه الميادين هي التي يتحرّك فيها الإنسان ويتفاعل معها.

١ـ الصدق مع النفس

نطلب ـ عادةً ـ من الآخرين أن يكونوا صريحين معنا؛ لكي نستطيع مساعدتهم، أو نتمكّن من فهمهم، فنطلب من أبنائنا أن يُصارحونا بما يدور في أذهانهم وبما يفكّرون به، ونطلب منهم ـ أيضاً ـ أن يعترفوا لنا بما فعلوه من خطأ أو صواب؛ لكي نستطيع أن نفهمهم ونقيّمهم ونرشدهم، ونحن بدون هذه الصراحة والمكاشفة؛ لا نستطيع أن نقدّم لهم شيئاً، فأوّل خطوة في هذا

---

(١) النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي: ج٤، ص٦٠.

المجال هي الصراحة؛ التي توفّر لنا المعرفة والإحاطة بأفكار وسلوكيّات الأشخاص الذين تقع علينا مسؤوليّة تربيتهم وتعليمهم وإرشادهم، أو الذين يطلبون منّا ذلك، ونحن بدون هذه الصراحة قد نُخطئ في التشخيص، ونرتكب أخطاءً فادحة، تماماً مثل الطبيب إذا ما أخفى عليه المريض بعض العوارض التي تظهر عليه، فقد يُؤدّي ذلك إلى خطأٍ كبيرٍ قد يُودي بحياته، فكما أنّ المريض يُلزم بأن يُصارح الطبيب بكلّ ما يشعر به؛ لكي يجد العلاج المناسب، كذلك نحن بأمسّ الحاجة إلى مثل هذه الصراحة مع آبائنا ومعلّمينا ومربّينا.

ولا شكّ أنّ أنفسنا أقرب إلينا من الآخرين، كما لا شكّ أنّها تعنينا أكثر من أيّ شيء آخر، وتقع علينا مسؤوليّة تجاهها، فنحن معنيون بتهذيبها وتزكيتها وإصلاحها ورقيّها، ولكن هل فكّرنا في مصارحتها؟

هل نحن صريحون مع أنفسنا؟ هل نعرف عنها كلّ شيء؟ هل يعرف كلّ واحدٍ منّا حقيقة نفسه؟ هل نعرف مقدار ضعفنا وقوّتنا وما نملك وما لا نملك ؟ هل مشاعرنا وأحاسيسنا وأفكارنا وتطلّعاتنا صادقة؟ هل تحدّثنا مع أنفسنا عن هذا الموضوع؟ هل طرحنا عليها هذا السؤال: ما أنتِ؟

إنّ غرورنا وتكبّرنا وظلمنا وبغينا ناشئ من كذبنا على أنفسنا وخداعنا لها، فعندما نتكبّر نتوهّم أنّنا نملك من القوّة والقدرة ما يجعلنا أعلى من الآخرين، ولكنّنا نجهل حقيقة الأمر؛ وهو أنّنا أضعف بكثير ممّا نظن، وممّا يُروى أنّ ابن السمّاك دخل يوماً على هارون الرشيد، فبينا هو عنده إذ

استسقى ماءً، فأتى بقلّة من ماء فلمّا أهوى بها إلى فيه ليشربها، قال له ابن السمّاك: على رسلك يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لو مُنعت هذه الشربة، بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال: اشرب هنّأك الله، فلمّا شربها قال له: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لو مُنعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي، قال ابن السمّاك: إنّ ملكاً قيمته شربة ماء لجدير ألّا ينافس فيه، فبكى هارون[1].

إنّ أوّل خطوة لنكون صادقين هي أن نصدق مع أنفسنا، ومعنى ذلك أن ننزّل أنفسنا منزلتها الحقيقية الواقعيّة، بعيداً عن الأوهام والخيالات، فلا نخدعها بالأكاذيب والأماني والتسويلات.

إنّ الصدق مع النفس يجعل الإنسان يفكّر بموضوعيّة وواقعيّة، بعيداً عن الأهداف الكبيرة التي لا تسمح له إمكانيّته وقابليّته ببلوغها، فالذي يعرف مؤهّلاته العلميّة، وأنّها محدودة وبسيطة بحيث لا تمكّنه من أن يكون منظّراً ومبتكراً؛ فإنّه سوف يسعى وفق هذه القابليّة، فيعمل على تطوير مواهبه وزيادة معرفته، ولربّما سيتمكّن يوماً ما من بلوغ ذلك إذا ما توفّرت العزيمة والإرادة وباقي المستلزمات، وأمّا مَن يتوهّم أنّه يمتلك من القدرة ما يجعله في مصافّ العلماء والمنظّرين، فهو بالإضافة إلى الأخطاء التي سيرتكبها عند التنظير والاستنتاج، فإنّه سوف يحرم نفسه من لذّة التعلّم ومواصلة

---

(١) أُنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٥٣٨.

تطوير مؤهّلاته، فإنّ الذي يعتقد خطأ أنّه قد بلغ مبلغاً متكاملاً في العلم فإنّه لا يسمح لنفسه بالتعلّم والاستفادة من الآخرين؛ إذ كيف يتعلّم من الآخرين وهو يرى نفسه قد بلغ في العلم مبلغه؟!.

ولأنّ الصدق مع النفس أوّل خطوة في طريق النجاح نجد أنّ القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام يشيرون إلى أهمية معرفة النفس وضرورة محاسبتها، كل ذلك لضمان المصداقيّة في التعامل معها.

وفيما يلي نذكر بعض تلك الإشارات:

١ـ ينهى القرآن الكريم عن تزكية النفس، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[2]، ويفهم من الآيتين أنّ السبب في النهي عن التزكيّة يرجع إلى أنّ الإنسان يجهل واقع نفسه، فقد يظنّ من نفسه الصلاح، ولكنّ الواقع يشهد بخلاف ذلك؛ وأنّ الذي يعرف حقيقة الإنسان إنّما هو الله سبحانه.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ شعور الإنسان بكماله وصلاحه، قد يكون سبباً في ضلاله وانحرافه، فقد يُصاب بالعجب والرياء، وقد يكون نفس الشعور المذكور سبباً في توقّف الإنسان عن الكمال والرقي، ظنّاً منه أنّه قد بلغ

---

(١) النساء: آية٤٩.

(٢) النجم: آية٣٢.

الغاية، وهذا من خداع النفس؛ ولذا ينهى القرآن عن التزكية وأنّ التزكية طالما هي بيد الله؛ فلا ينبغي لنا أن نشغل أنفسنا بها، وإنّما نشغل أنفسنا فيما يعود علينا بالنفع.

٢ـ يحذّر أهل البيت من ظاهرة المدح والثناء واستمالة المدّاحين وتقريبهم وإكرامهم، فقد ورد: «**احثوا في وجوه المدّاحين التراب**»[١]، وما ذلك إلّا للحفاظ على النظرة الموضوعيّة للنفس والمنزلة الحقيقيّة التي عليها الإنسان، فإنّ المدح أحياناً يقود الممدوح إلى الغرور والعجب، ونحو ذلك من الصفات التي تفقد الشخص الشفافيّة في نظرته لنفسه.

وقد مدح قوم أمير المؤمنين عليه السلام في وجهه «**قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ، واغْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُون**»[٢]. فمن الواضح أنّ الشخص أعرف بنفسه من غيره؛ فلذا فإنّ المدح لا يضيف له شيئاً، ولو أضاف شيئاً؛ فمعنى ذلك: أنّ الشخص يجهل نفسه ولا يعرفها حقّ المعرفة، وإنّ الآخرين يعرفونه أكثر منه، وهذه بحدّ ذاتها مشكلة.

٣ـ ومن تلك الإشارات ـ أيضاً ـ الحثّ على محاسبة النفس ومراقبتها والاشتغال بعيوبها بدل الاشتغال بعيوب الناس، فمن ذلك ما جاء في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ رضي الله عنه: «**لا يكون الرجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ**

---

(١) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٨١.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، (تحقيق: صبحي الصالح): ص٤٨٥.

من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلٍّ أم من حرام»[١]. وفي كلام لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: «**فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ**»[٢]، وهو يُلفت إلى أنّ المحاسبة إنّما تكون لأجل النفس، (حاسب نفسك لنفسك)؛ أي: لأجلها ولسلامتها ولسعادتها ولكمالها، فالهدف من المحاسبة نفس النفس، فإنّها هي مَن ينتفع بهذه المحاسبة.

٤ـ ومن الإشارات أيضاً أدعية أهل البيت عليهم السلام التي تدعوا إلى الاعتراف بالتقصير والذنوب، وطلب العفو منه تعالى، كما نقرأ ذلك في مثل: دعاء كميل، ودعاء الصباح، وأدعية الصحيفة السجّاديّة، وغيرها من الأدعية التي تُعلّمنا كيف نصارح الله سبحانه، وكيف نكون صادقين مع أنفسنا، وكيف يجب علينا أن نعترف بالحقيقة مع أنفسنا، فإنّ هذه الأدعية تُشير بشكل واضحٍ وجليٍّ إلى أهمّيّة مصارحة النفس والصدق معها.

لنقرأ معاً هذه المقاطع الجميلة:

جاء في دعاء كميل: «**يا سيّدي، فأسألك بعزّتك أن لا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي، ولا تفضحني بخفيّ ما اطّلعت عليه من سرّي، ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عملته في خلواتي؛ من سوء فعلي وإساءتي، ودوام تفريطي وجهالتي، وكثرة شهواتي وغفلتي**»[٣].

---

(١) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص٤٦٨.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، (تحقيق: صبحي الصالح): ص٣٤٣.
(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٨٤٥.

ونقرأ في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة هذا الاعتراف والإقرار:

«يا مولاي، أنت الذي أنعمت، أنت الذي أحسنت، أنت الذي أجملت، أنت الذي أفضلت، أنت الذي مننت، أنت الذي أكملت، أنت الذي رزقت، أنت الذي أعطيت، أنت الذي أغنيت، أنت الذي أقنيت، أنت الذي آويت، أنت الذي كفيت، أنت الذي هديت، أنت الذي عصمت، أنت الذي سترت، أنت الذي غفرت، أنت الذي أقلت، أنت الذي مكّنت، أنت الذي أعززت، أنت الذي أعنت، أنت الذي عضدت، أنت الذي أيّدت، أنت الذي نصرت، أنت الذي شفيت، أنت الذي عافيت، أنت الذي أكرمت، تباركت ربّي وتعاليت، فلك الحمد دائماً، ولك الشكر واصباً.

ثمّ أنا يا الهي المعترف بذنوبي فاغفرها لي، أنا الذي أخطأت، أنا الذي أغفلت، أنا الذي جعلت، أنا الذي هممت، أنا الذي سهوت، أنا الذي اعتمدت، أنا الذي تعمّدت، أنا الذي وعدت، أنا الذي أخلفت، أنا الذي نكثت، أنا الذي أقررت.

إلهي أعترف بنعمتك عندي، وأبوء بذنوبي فاغفر لي، يا مَن لا تضرّه ذنوب عباده، وهو الغنيّ عن طاعتهم، والموفِّق مَن عمل منهم صالحاً بمعونته ورحمته»[1].

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، إقبال الأعمال: ج٢، ص٨٢ـ٨٣.

في مثل هذه الأدعية تتعزّز فكرة الصدق مع النفس ومصارحتها، ومعرفة نقاط ضعفها وقوّتها، وبالتالي يستطيع الشخص من خلال ذلك أن يزن نفسه جيّداً، ويضعها في مكانها الصحيح.

هذه بعض المؤشّرات التي تُشير إلى أهميّة وضرورة أن يكون الإنسان صادقاً صريحاً مع نفسه، أو يعمل على أن يكون كذلك في حياته، وهذه الصفة هي ـ كما قلنا ـ أوّل خطوة يخطوها الإنسان وهو في طريقه ليكون إنساناً صادقاً.

وممّا يعزّز هذه الخصلة أن يلقّن الشخص نفسه بذلك بين الحين والآخر، فيقول مع نفسه، أنا قادرٌ أن أكون صادقاً مع نفسي وصريح مع داخلي، أنا قادرٌ على ذلك بكلّ تأكيد. إنّ تكرار مثل هذا الحوار مع النفس يشجّع على امتلاك هذه الصفة، ويشدّ العزيمة، ويدفع بالمعنويات إلى تحقيق ذلك بالفعل.

من الضروري أن نتحاور مع أنفسنا في كلّ يوم، كما نتحاور مع الآخرين من أصدقاء وشركاء في العمل، أو شركاء في الحياة؛ لنتعرّف أكثر على أنفسنا ونفهما بشكل واضح.

٢ـ الصدق مع الله

الصدق مع الله سبحانه له معنيان عامّان:

الأوّل: أن يكون الشخص صادقاً فيما ينقله عن الله تعالى من آية، أو رواية، أو حكم، فالكثير من الناس ينسبون إلى الله آيات وروايات وأحكام ليست صحيحة، ولكي نصدق في ذلك يلزمنا أن نكون دقيقين في نقل الآية

الكريمة، وفيما إذا كنّا لا نحفظ الآية بشكل صحيح فيمكن لنا أن نستعين بالمصحف الكريم؛ لنقرأها بشكلها الصحيح، وفي جانب الروايات والأحاديث المرويّة عن النبيّ الأكرمﷺ وأهل بيته الكرامعليهم السلام، نجد نفس الشيء فإنّ هناك الكثير من التسامح وعدم الدقّة في النقل، وهكذا الأمر بالنسبة إلى نقل فتاوى الفقهاء وآرائهم، فالكثير من الناس لا يمتلكون المؤهّلات العلميّة التي تؤهّلهم لمعرفة الحديث الصحيح والموثوق، كما لا يجيدون التعامل مع العبارات العلميّة والمصطلحات الفقهيّة التي يقرؤونها في الرسائل العمليّة، فيفهمون منها خلاف المطلوب، وينشرون ذلك بين الناس ممّا تترتّب عليه نتائج سيّئة.

الصدق يفرض علينا أن نتعامل مع هذه الأُمور بدقّة عالية؛ إذ يمكن أخذ ما نحتاجه من الروايات والفتاوى من أصحاب الاختصاص الذين يعرفون ذلك بشكل جيّد، وقد تحدّثنا عن هذا الموضوع بتفصيل أكثر في كتاب (الكذب مفتاح الخبائث) فيمكن للقارئ الكريم مراجعة ذلك هناك.

الثاني: أن نكون صادقين مع الله في الإيمان، وسلامة العقيدة، وفي النوايا، وفي الوعود والعهود، وفي تطبيق الشريعة وأمثالها، ولكي يتّضح ذلك لنا نحتاج أن نقف قليلاً على هذه المفردات ونحوها:

أ ـ الصدق في الإيمان وسلامة الاعتقاد

الصدق في الإيمان يفرض على المؤمن أن يتمسّك بدينه في جميع المواقف، وفي مختلف الحالات؛ في السرّاء والضرّاء هو مؤمن، وفي الصحّة والمرض هو

مؤمن، وفي الرضا والغضب هو مؤمن، وفي مواقف الحقّ والباطل هو كذلك، وفي موقف الخوف والخشية، وفي كلّ المواقف، المؤمن الصادق لا يتنازل عن إيمانه مهما كانت النتائج، ولا يضعف مهما كانت العروض والمغريات.

فهذا خبيب بن عديّ الذي وقع أسيراً في يد قريش، وقد جاءوا به إلى مكّة وقد حبسوه «**في بيت امرأة يُقال لها: ماوية مولاة لبني عبد مناف، وكانت ماوية قد أسلمت بعد، فحسن إسلامها وكانت تقول: والله ما رأيت أحداً خيراً من خبيب. والله لقد اطلعت عليه من صير الباب وإنّه لفي الحديد ما أعلم في الأرض حبّة عنبٍ تُؤكل وإنّ في يده لقطف عنبٍ مثل رأس الرجل يأكل منه وما هو إلّا رزقٌ رزقه الله. وكان خبيب يتهجّد بالقرآن وكان يسمعه النساء فيبكين ويرققن عليه. قالت فقلت له: يا خبيب هل لك من حاجة؟ قال: لا إلّا أن تسقيني العذب ولا تطعميني ما ذبح على النصب وتخبريني إذا أرادوا قتلي. قالت: فلما انسلخت الأشهر الحرم وأجمعوا على قتله أتيته فأخبرته فو الله ما رأيته اكترث لذلك وقال: ابعثي لي بحديدةٍ أستصلح بها. قال: فبعثت إليه موسى مع ابني ... فلمّا ولى الغلام قلت: أدرك والله الرجل ثأره أي شيءٍ صنعت بعثت هذا الغلام بهذه الحديدة فيقتله ويقول رجلٌ برجل. فلمّا أتاه ابني بالحديدة تناولها منه ثمّ قال ممازحاً له: وأبيك إنّك لجريءٌ ! أما خشيت أُمّك غدري حين بعثت معك بحديدةٍ وأنتم تريدون قتلي! قالت ماوية: وأنا أسمع ذلك فقلت: يا خبيب إنّما أمنتك بأمان الله، وأعطيتك بإلهك**

ولم أعطك لتقتل ابني. فقال خبيب: ما كنت لأقتله وما نستحل في ديننا الغدر. ثمّ أخبرته أنّهم مخرجوه فقاتلوه بالغداة. قال: فأخرجوه بالحديد حتّى انتهوا به إلى التنعيم ... فأمروا بخشبة طويلة فحفر لها فلمّا انتهوا بخبيب إلى خشبته قال: هل أنتم تاركيّ فأُصلّي ركعتين قالوا: نعم. فركع ركعتين أتمّهما من غير أن يطول فيهما.

ثمّ قال: أما والله لولا أن تروا أنّي جزعت من الموت لاستكثرت من الصلاة. ثمّ قال: اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً.

فلمّا صلّى الركعتين حملوه إلى الخشبة، ثمّ وجّهوه إلى المدينة وأوثقوه رباطاً، ثمّ قالوا: ارجع عن الإسلام نخل سبيلك، قال: لا والله ما أحبّ أنّي رجعت عن الإسلام وأنّ لي ما في الأرض جميعاً، قالوا: فتحبّ أنّ محمّداً في مكانك وأنت جالسٌ في بيتك! قال: والله ما أحبّ أن يشاك محمدٌ بشوكةٍ وأنا جالسٌ في بيتي. فجعلوا يقولون: ارجع يا خبيب، قال: لا أرجع أبداً! قالوا: أما واللّات والعزّى لئن لم تفعل لنقتلنك! فقال: إنّ قتلي في الله لقليلٌ! فلمّا أبى عليهم وقد جعلوا وجهه من حيث جاء قال: أما صرفكم وجهي عن القبلة فإنّ الله يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ ...﴾. ثمّ قال: اللّهمّ إنّي لا أرى إلّا وجه عدو، اللّهمّ إنّه ليس ها هنا أحدٌ يبلغ رسولك السلام عنّي فبلّغه أنت عنّي السلام ...»[1].

---

(١) أُنظر: الواقدي، محمّد بن عمر بن واقد، المغازي: ج١، ص٣٥٧ـ ٣٦٠.

إنّ الصدق في الإيمان يُكسب صاحبه الثبات في الموقف وعدم التنازل عن المبادئ، مهما كان حجم العروض والمغريات، ومهما كان نوع التحدّيات والمخاطر، فالإنسان إنّما يكون إنساناً بما يحمله من مبادئ، وبما يحافظ عليه من قيم.

ومن شواهد صدق الإيمان ما رواه المؤرّخون عن «**امرأةٍ من بني دينار قد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله بأُحد، فلمّا نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالوا: خيراً يا أُمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبّين، قالت: أرونيه حتّى أنظر إليه، فأُشير لها إليه حتّى إذا رأته، قالت: كلّ مصيبة بعدك جلل**»[1].

لعلّ مثل هذه القصّة لا نجد لها نظيراً إلّا في الأساطير والخرفات، إذ كيف لنا أن نتصوّر أن تسمع امرأة ـ وهي مجبولة بطبيعتها على العواطف والأحاسيس المرهفة ـ بموت أبيها وأخيها وزوجها، دون أن تنهار ودون أن تفقد عقلها ووعيها، فتتمالك نفسها وتُعرض عمّا سمعته وتسأل عن سلامة حامي الشريعة، فإذا ما عرفت سلامته هانت عليها تلك المصائب.

إنّه الإيمان يهب لصاحبه طاقة لا حدود لها، وقوّة لا نظير لها، يتصاغر أمامه كلّ شيء، وتهون دونه كلّ المصاعب، وتتذلّل كلّ العقبات.

ينبغي أن يكون همّ المؤمن دينه وسلامة إيمانه أوّلاً وقبل كلّ شيء، ثمّ يفكر بعد ذلك في باقي الأُمور، وقد سأل أمير المؤمنين عليه السلام يوماً رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص٢١٠.

عن أفضل الأعمال في شهر رمضان، فقال: «**يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ، ثمّ بكى. فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟ فقال: يا علي، أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك. قال أمير المؤمنين**عليه السلام: **قلت: يا رسول الله، وذلك في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك**»[1].

ب ـ الصدق في النوايا، (التقوى في السرّ والعلانية)

إنّ ما يميّز التشريعات السماويّة أنّها لا تكتفي بصلاح الإنسان بحسب الظاهر فقط، بل تذهب بعيداً إلى أعماقه ودواخله؛ لتجعل من نواياه حسنة وطيّبة، وكما تجعل للإنسان رقيباً ظاهريّاً وهو المجتمع، تجعل في باطنه رقيباً ـ أيضاً ـ وهو عقله، وقد اعتبرت الروايات أنّ هذا الرقيب الداخلي هو الأساس في إيمان الإنسان وصلاحه، ففي الحديث: «**مَن لم يجعل لله له من نفسه واعظاً؛ فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً**»[2]، ولذا اتّجه عمل النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام إلى تعزيز هذا الواعظ الداخلي وإيقاظه في نفوس الناس؛ لما له من تأثير كبير في استقامة الإنسان، وضمان لتأدية الوظائف والواجبات المنوطة بالمسلم، فنقرأ في الأحاديث: «نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرٌّ من عمله، وكلّ عامل

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، الأمالي: ص١٥٥.
(٢) المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الأمالي: ص٢٨.

يعمل على نيّته»[١]، فالنيّة تُعدّ أفضل من العمل نفسه الذي يقوم به الإنسان، وما ذاك إلّا لأهميّة النوايا في عند الله تعالى.

وفي الأحاديث توضيح كيف يكون الصدق في النيّة، فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا رب ارزقني حتّى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق نيّة كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنّ الله واسع كريم**»[٢]، فإنّ المهمّ أن تكون نيّة الإنسان طيّبة نبيلة، أن يحب مساعدة الآخرين وإن لم يفلح في تحقيق ذلك.

وبما أنّ النوايا الحسنة الطيّبة لا يمكن لغير الله أن يطّلع عليها؛ كان معرفة صدقها وزيفها ممّا يختصّ بالله تعالى، فالله وحده هو العالم بخفايا الإنسان، وقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٣] فقال: «**﴿ٱلسِّرَّ﴾ ما كتمته في نفسك، ﴿وَأَخْفَى﴾ ما خطر ببالك ثمّ أُنسيته**»[٤].

ج ـ الصدق في الوعد والعهد واليمين والنذر

من مجالات الصدق مع الله الوفاء بما يقطعه المؤمن مع الله، فلو وعد الله أو عاهده أو أقسم له على أمرٍ أو نذر شيئاً؛ فاللازم أن يفي بذلك، ويحرص على أداء

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٨٤.
(٢) المصدر السابق: ص٨٥.
(٣) طه: آية٧.
(٤) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، معاني الأخبار: ١٤٣.

ما التزم به، وقد مدح القرآن الكريم الذين يوفون بالتزاماتهم من عهود وأيمان ونذور، من ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

فالآية تثني على الذين يصدقون بعهودهم التي يقطعونها مع الله، ويعدهم الله سبحانه بأن يجزيهم لأجل صدقهم وإخلاصهم.

وقال تعالى مادحاً الذين يفون بنذورهم: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[2].

إنّ الوفاء بالوعود، ومقدار الالتزام بالعهود والأيمان، يرجع إلى منزلة الموعود ومكانته في نفس المواعد والمعاهد، وليس إلى نوع الوعد ومقداره، فالذي يعاهد الله تعالى على أن لا يسلب نملةً طعامها تماماً كمَن لو عاهده على أن لا يسلب الناس أموالهم؛ لأنّ الأمر يتعلّق بمَن تمّت المعاهدة معه، وليس متعلّقاً بنوع المعاهد عليه وحجمه؛ ولهذا فالذي لا يفي بالتزاماته التي يقطعها مع الله تعالى يكشف ذلك عن حجم منزلة الله في نفسه، ومقدار الاحترام الذي يكنّه لله، ومن هنا نجد أنّ الروايات تؤكّد على هذه النقطة المهمّة؛ وهي الطرف الذي تمّت معاهدته، وليس المهمّ ما هو الشيء الذي تمّت المعاهدة عليه، وما هو حجمه ومقداره.

---

(١) الأحزاب: آية٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الإنسان: آية ٧.

من تلك الروايات ما جاء في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ رضي الله عنه: «**يا أبا ذر، لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن أُنظر إلى مَن عصيت**»[١].

وفي هذا السياق روى إسحاق بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام: «**يا إسحاق خف الله كأنّك تراه، وإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك**»[٢]، وفي هذا الحديث يؤكّد الإمام على تعظيم الله تعالى، واللّازم من أن يهاب الإنسان ربّه ويخشاه، ويتجنّب مبارزته بالمخالفة.

إذن، من مظاهر الصدق مع الله أن يلتزم الشخص بكلّ ما قد التزمه مع الله تعالى من عهود وأيمان ونذور، وأن يحافظ على هذا الوفاء على طول الخطّ؛ ليكون من الصادقين الأوفياء الذين مدحهم الله في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[٣].

د ـ الصدق في تطبيق الشريعة

ليس الإسلام مجرّد عقائد وأفكار ومفاهيم مجرّدة لا واقع لها، وإنّما هو برنامج متكامل في جانبه النظري، وجانبه العملي والسلوكي؛ فهو يهدف إلى تطوير الذات في جميع النواحي، في الفكر والعقيدة، وفي النفس والأحاسيس والمشاعر، وفي العمل والبناء.

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٥٢٨.
(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٨.
(٣) المؤمنون: آية ٨.

والصدق الذي نتحدّث عنه يدخل في جميع هذه المفاصل فكما يدخل مع الإنسان في نفسه وأفكاره ورؤاه، ويدخل مع الإنسان وخالقه في صدق إيمانه وصحّة عقائده، يدخل ـ أيضاً ـ في مدى تطبيقه للشريعة ومقدار حفظه لحدودها؛ إذ لا يكفي أن يكون الشخص صادقاً في حبّه لله وصادقاً في إيمانه ولكنّه لا يؤدّي ما عليه من واجبات دينيّة فرضتها عليه الشريعة، وهذا تماماً كالذي يقول لشخص آخر يحبّه، أنا صادق في حبّي لك، ولكنّه مع هذه الصراحة يخالفه في كلّ ما يريد ويرغب.

إنّ الصدق مع الله تعالى في جانبه العملي والسلوكي، يقتضي تطبيق الشريعة على أكمل وجه، وامتثال جميع أوامر الله ونواهيه، فإنّ الإيمان بالله يفرض ذلك على المؤمن، ففي الحديث: «**الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان**»[1].

ومعنى ذلك أنّ الإيمان له أبعاد ثلاثة: بُعد فكري، وبُعد لفظي، وبُعد عملي؛ فلذا يجب أن يتوّزع الصدق على هذه الأبعاد الثلاثة، فيجب أن يكون الشخص صادقاً ذهنياً وفكريّاً؛ لا يسمح للأوهام والخيالات الكاذبة أن تخترق عقله وفكره، وصادقاً في كلامه وأقواله، وصادقاً في عمله وسلوكه.

وقد رسم لنا القرآن الكريم لوحة في غاية الروعة عن الصدق في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[2]، فما أروعها من

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، الخصال: ص١٧٩.
(٢) الإسراء: آية٨٠.

صورة، وما أجملها من لوحة، فإنّه تعالى يعلّم نبيّه المصطفى ﷺ هذا الدعاء، وهو أن يُجعل مداخله كلّها مداخل صدق، ومخارجه كلّها مخارج صدق، فلا يبتدئ إلّا بصدق ولا ينتهي إلّا بصدق، جاء في تفسير الميزان: «**أن يرى الصدق في كلّ مدخل منه ومخرج، ويستوعب وجوده فيقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، ولا يقول ولا يفعل إلّا ما يراه ويعتقد به، وهذا مقام الصدّيقين**»[١].

إنّ الله تعالى يدعو نبيّه أن يدعوه ليوفّقه إلى هذه الصفة العظيمة؛ وهي بالتالي دعوة لكلّ مؤمن أن تكون حياته كلّها صدق، ابتداءً وانتهاءً، فلا مجال فيها للكذب، سواء حياته الفرديّة أو حياته الاجتماعيّة، وأن لا يتحرّج من قول الحقّ وفعله، فما يطمح إليه الشخص يحصل عليه بالصدق لا بالكذب.

وقد روى المؤرّخون قصّة لطيفة تكشف عن عظيم فائدة الصدق، وأهمّيّته في تحقيق المطلوب، فقد رووا أنّ الصحابي بلال الحبشي قد خطب لأخيه خالد بن رباح امرأةً قرشيّة، فقال لأهلها في خطبتها: «نحن مَن قد عرفتم؛ كنّا عبدين فأعتقنا الله، وكنّا ضالّين فهدانا الله، وكنّا فقيرين فأغنانا الله؛ وأنا أخطب إليكم على أخي فلانة، فإن تنكحونا فالحمد لله، وإن تردّونا فالله أكبر؛ فأقبلوا بعضهم على بعض فقالوا: بلال مَن قد عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله، فزوّجوا أخاه. فلمّا انصرفا قال له أخوه: يغفر الله لك! أمَا كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله! فقال: مه يا أخي! صدقت فأنكحك الصدق»[٢].

---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٣، ص١٧٦.
(٢) الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ج٣، ص١٥٠.

هـ ـ الصدق مع النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى عليهم السلام

من مظاهر الصدق مع الله الصدق مع رسوله وأوليائه: التسليم لأمرهم، الموالاة لهم، العمل بأمرهم وتوصياتهم، الرجوع إليهم في كلّ أمرٍ من أُمور الدين، حفظ حقوقهم.

الصدق مع الله تعالى يفرض علينا أن نكون صادقين مع أنبيائه وأوليائه؛ لأنّهم هم مَن يؤدّون لنا شريعته ويبلّغونا كتبه، فالقرآن الكريم قد وصل إلينا عن طريق رسولنا الكريم محمّد صلى الله عليه وآله؛ فهو مَن أوصله إلينا وعلّمنا أحكامه ومضامينه، ثمّ أوضح لنا السنّة وأحكام الإسلام التفصيليّة، والتي وصلتنا عن طريق أهل بيت العصمة عليهم السلام؛ فهم مَن حفظ لنا كلّ ما صدر من النبيّ صلى الله عليه وآله، وأكملوا لنا المعارف الإسلاميّة السليمة، وقد فرض الله علينا طاعتهم وولايتهم؛ لأنّ في ذلك ضماناً لسلامة الدين، وعصمةً من تسلل البدع والخرافات والانحرافات إليه.

ومن هنا فإنّنا لا نعرف الشريعة الحقّة إلّا من خلالهم، فهم القناة السليمة المعصومة الموصلة إلى ذلك؛ ولهذا وجب علينا تصديقهم، وهو يتحقّق عبر أمرين:

١ـ تجنّب الكذب عليهم، بأن لا ينسب إليهم ما لم يقولوا، ولا ينسب إليهم ما لا يليق بهم، والواجب أن يتحرّى المؤمن الدقّة والأمانة في نقل الروايات؛ وذلك يقتضي الاعتماد على أصحاب الاختصاص من العلماء والباحثين في هذا

الشأن، وقد تحدّثنا عن هذا الموضوع في كتاب (الكذب مفتاح الخبائث) فمَن شاء فليراجع، والمهم ـ هنا ـ أن نعرف أنّ الصدق يفرض علينا أن نكون أمينين في نسبة الروايات والأقوال إليهم.

٢ـ الصدق معهم؛ وهذا المعنى له مصاديق كثيرة نذكر منها:

أوّلاً: معرفتهم؛ وليس المقصود من المعرفة مجرّد معرفة أسماء الأئمّة عليهم السلام، وإنّما المراد معرفتهم بما هم أئمّة وقادة إلهيّين أمرنا الله بطاعتهم والاقتداء بهم، فقد ورد: «**لا يكون العبد مؤمناً حتّى يعرف الله ورسوله والأئمّة كلّهم وإمام زمانه، ويرد إليه ويسلّم له، ثمّ قال: كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأوّل؟!**»[1]، فالمؤمن لا يكون مؤمناً حقّاً إلّا بهذه المعرفة الثلاثيّة: (الله، والرسول صلى الله عليه وآله، والأئمّة عليهم السلام)، ويُشير الحديث إلى وجود ترابط وترتّب بينها، فإنّ معرفة الله تفرض معرفة الرسول، ومعرفة الرسول تفرض معرفة الإمام، ونقرأ في الدعاء الذي علّم الإمام الصادق عليه السلام زرارة أن يقرأه إذا أدرك زمان الغيبة: «**اللّهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهمّ عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني**»[2].

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٨٠.

(٢) المصدر السابق: ص٣٣٧.

ثانياً: طاعتهم؛ فإنّ الصدق مع الإمام يفرض علينا طاعته وامتثال أوامره، وعدم مخالفته والرد عليه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1]، فقد جاء في تفسيرها أنّ المراد من أُولي الأمر أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فعن الإمام الباقر عليه السلام لمّا سُئل عن هذه الآية، قال: «**قال: الأئمّة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، إلى أن تقوم الساعة**»[2].

وقد روى زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً، «**قال: ذُروة الأمر وسَنامه، ومفتاحه وباب الأشياء، ورضا الرحمن تبارك وتعالى؛ الطاعة للإمام بعد معرفته، ثمّ قال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[3]»[4]، والمقصود أنّ الإنسان لا يكون في قمّة الدين وأعلاه وأشرفه إلّا بطاعة الإمام بعد معرفته، وأنّه إمام قد افترض الله طاعته. والروايات في هذا المضمون كثيرة، وكلّها تُؤكّد أنّ الله قد فرض على المسلمين طاعة الأئمّة عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) النساء: آية ٥٩.

(٢) القمّي، علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة: ص١٣٤.

(٣) النساء: آية ٨٠.

(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٨٦.

ثالثاً: موالاتهم؛ ومولاة أهل البيت عليهم السلام تعني: محبّتهم ومودّتهم، والاقتداء بهم، والانقياد لهم، والاعتقاد بعصمتهم وإمامتهم، ولا تتحقّق الولاية التامّة إلّا بالتبرّي من أعدائهم وظالميهم، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

إنّ الولاية تفرض على المؤمن أن يتخلّق بمَن يتولّاه ويقتدي به، ويتّصف بصفاته، ويتّبعه؛ وهذا يستلزم أن يبتعد عن أخلاق أعدائهم وصفاتهم.

والجدير بالالتفات إليه أنّ هذه الولاية هي التي تقود الإنسان إلى سلوك الطريق القويم؛ لأنّ طريق أهل البيت عليهم السلام طريقٌ معصومٌ من الزلل والانحراف؛ ولذا اختاره الله لنا، فقد ورد في الصلوات الشعبانيّة: «**اللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّد، الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن مَن ركبها، ويغرق مَن تركها المتقدّم لهم مارق، والمتأخّر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق**»[2]، فمَن يحيد عنهم لا محالة يقع في الخطأ ويبتعد عن الصواب؛ ولذا

---

(١) المجادلة: آية٢٢.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٤٥.

لا يَقبل الله منه عمل ولا طاعة مهما كان حجمها، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**والله، لو أنّ عبداً عمّره الله فيما بين الركن والمقام ألف عام، وفيما بين القبر والمنبر يعبده ألف عام، ثمّ ذُبح على فراشه مظلوماً كما يُذبح الكبش الأملح، ثمّ لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتنا؛ لكان حقيقاً على الله عزّ وجلّ أن يكبّه على منخريه في نار جهنّم**»[1].

رابعاً: التسليم لهم؛ والمقصود من التسليم قبول كلّ ما يصدر عنهم والرضا به، وعدم الاعتراض أو التشكيك أو التوقّف فيما يقولون أو يفعلون؛ لأنّ كلّ ما يصدر عنهم إنّما هو من الله تعالى، ومن تدبيره وحكمته، فهم يُنفذون أمره ومشيئته، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لو أنّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وحجّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله الا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثمّ تلا هذه الآية ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2] ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: عليكم بالتسليم**»[3].

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال: ص٢١٠.

(٢) النساء: آية٦٥.

(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٩٠.

وكان في عصر الإمام الصادقعليه السلام رجلٌ يُسمّى كُليب، كان شديد التسليم والرضا والقبول لأمر أهل البيتعليهم السلام، وما أن يسمع عن أئمة أهل البيتعليهم السلام شيئاً إلّا وقال: أنا أُسلّم، ولهذا كان أصحابه يطلقون عليه اسم: كليب تسليم، وقد بلغ ذلك الإمام الصادقعليه السلام فترحّم عليه[1].

وقد تعرّض النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام إلى أنواع من الاعتراض والتشكيك من قِبَل أصحابهم وأتباعهم، ولعلّ ما تعرّض له الإمام الحسن الزكيعليه السلام عندما صالح معاوية أقوى شاهد على تلك الاعتراضات، فقد روى المحدّثون: «**لمّا صالح الحسن بن عليعليهما السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقالعليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت والله الذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنّني إمامكم مفترض الطاعة عليكم وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنصٍّ من رسول اللهصلى الله عليه وآله عليّ؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم أنّ الخضرعليه السلام لمّا خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران؛ إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً، أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الذي يُصلّي روح الله عيسى بن مريمعليه السلام خلفه، فإنّ الله عزّ وجلّ يُخفي ولادته، ويغيب شخصه لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة**

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٩١.

الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثمّ يُظهره بقدرته في صورة شابٍّ دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير»[١].

وظاهرة الاعتراض والتشكيك نلمسها عند البعض عندما يُشكك في الروايات والأحاديث والأحكام الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام، وفي الفتاوى الفقهيّة التي هي نتاج هذه المدرسة، وليس له ما يبرّر به الاعتراض سوى الاستبعاد وعدم قناعته، ولكنّه ـ في نفس الوقت ـ ينسى أنّ من أبجديّات التديّن والإيمان القبول بكلّ ما جاء عن الله تعالى على لسان أنبيائه وأوليائه.

فالصدق مع النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام يفرض على المؤمن أن يسلّم بكلّ ما صدر عنهم، ويقبل به باطناً وظاهراً؛ لأنّ الاعتراض أو التشكيك فيما يصدر عنه يرجع إلى التشكيك فيما يصدر عن الله تعالى؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما جاء به من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[٢].

ونودّ أن نختم هذه النقطة بقصّة من قصص الصدق مع النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد روى المحدّثون عن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله أنّه قد «أمر مولاه أن يشترى له فرساً، فاشترى بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢١٦.
(٢) الحشر: آية٧.

درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله، فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثمّ لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها، فقيل له في ذلك، فقال إنّي بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله النصح لكلّ مسلم»[1].

٣ـ الصدق مع الناس

من الطبيعي إذا صدق الشخص مع نفسه وربّه أن يكون صادقاً مع الآخرين، وأن لا يسمح لنفسه بالكذب والخيانة والنفاق؛ لأنّ ذاته تفرض عليه أن يكون صريحاً مع الناس وصادقاً في التعامل معهم، كما أنّ صدقه مع الله تعالى يترشّح عنه الصدق مع الزوجة والأولاد، والصدق مع الأصدقاء وزملاء العمل، وباقي أصناف الناس؛ لأنّ الصدق واجب من واجبات الشريعة التي يؤمن بها الإنسان، ومع قطع النظر عن ذلك فإنّ هذه الصفة تعزّز ثقة الناس بصاحبها وتجعل له احتراماً وتقديراً ومكانةً سامية، وإيجابيّات أُخرى كثيرة، نحاول التعرّف عليها من خلال هذا البحث.

وحديثنا سيكون ضمن دوائر معيّنة يتعامل معها الشخص، ويحتكّ بها في حياته اليوميّة؛ كدائرة الأُسرة، ودائرة الأصدقاء، ودائرة العمل، وغيرها ممّا سنتعرّف عليه أكثر فيما يلي:

---

(١) النووي، يحيى بن شرف بن مرّي، شرح صحيح مسلم: ج٢، ص٤٠.

الدائرة الأُولى: الصدق مع الأُسرة

لا شكّ أنّ طبيعة العلاقة بين الزوجين تختلف عن طبيعة العلاقات الأُخرى؛ فهي علاقة قائمة على العاطفة والمحبّة والمودّة والمعاشرة والأُنس، كما أنّ ما يميّز هذه العلاقة أنّها غالباً تُثمر وتُنتج، فالأولاد هم نتاج هذه العلاقة الحميمة، وأثر هذه المحبّة، وكلّما نظرا إلى الأولاد شعرا بتلك العلاقة وتحسّساها في روحيهما، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]؛ إشارة واضحة إلى طبيعة هذه العلاقة المميّزة، فالزوجة موضع سكون الزوج واستقراره العاطفي والنفسي، وموضع أسراره، فلا يستطيع ـ عادةً ـ أن يُخفي عنها شيئاً، أو يتجاوز آراءها وقناعاتها بسهولة؛ ولذا فإنّ الوضع الطبيعي يفرض أن تتّسم هذه العلاقة بطابع الصدق والصراحة، فكلّما اشتدّت الصراحة بينهما قويت وتماسكت العلاقة، والعكس ـ أيضاً ـ صحيح.

إذ يتمكّن أغلب الرجال أن يُخفوا عن آبائهم وأُمّهاتهم وأصدقائهم، بل حتّى أولادهم أشياء كثيرة، ولكنّهم قد لا يتمكّنون أن يُخفوا عن زوجاتهم أبسط التفاصيل التي تُصادفهم، وطبيعي ليس المراد تلك الأسرار والمعلومات

---

(١) الروم: آية٢١.

التي تترتّب مفاسد على البوح بها، فإنّ الصدق والصراحة في مثلها يجلب نتائج عكسيّة.

إنّ السعادة الحقيقية بين الزوجين لا تكمن فقط في الحبّ وتلبية كلٍّ منهما حاجة الآخر، وإنّما تكمن في مقدار الصدق المتبادل بينهما، ومستوى الصراحة التي يعيشانها، فإنّ هذا الصدق وهذه الصراحة هو الذي يُضفي عليهما طابع الاستقرار والحياة الهادئة الهانئة. وفي الحديث: «**الصدق طمأنينة**»[1].

والسعادة التي يوفّرها الصدق لا تختصّ بالزوجين فقط، بل تعمّ كلّ أفراد الأُسرة، فإنّ هدوء الأبوين واستقرار علاقتهما يؤثّر بشكل كبير في استقرار حياة الأولاد، كما أنّ صراحة الأبوين وصدقهما يدفع بالأولاد إلى الصراحة والصدق أيضاً، ومن الضروري أن يُلفت الأبوان نظر الأولاد إلى أنّ سرّ سعادتهما يكمن في صراحتهما وصدقهما، ويُشجعانهم على ذلك.

ولو انعدم الصدق في الأُسرة فكيف يمكن أن نتصوّر الحال؟ الزوج يُخفي عن زوجته ما لو اطّلعت عليه لحصلت كارثة، وهي تُخفي عليه ما لا يُطيقه؛ فلذا يلجأ كلٌّ منهما إلى العزلة تجنّباً من فلتات اللسان، والحياة في داخل الأُسرة مليئة بالشكوك والريبة، والحال لا يقلّ سوءاً في جانب الأولاد، فكلٌّ منهم مشغول بأسراره وخفاياه وعلاقاته المشبوهة وتصرّفاته المريبة، حقّاً إنّها حياة لا تُطاق، كل ذلك بسبب انعدام الثقة والأمانة والصدق.

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص٢٠٠.

ثمّ إلى متى سيبقى الوضع على هذا الحال؟ إنّه بركان يغلي، لا بدّ أن ينفجر في يوم من الأيّام، وحينئذٍ يحترق الأخضر واليابس. إنّ مصير هذه الأُسرة هو الانهيار والتفكّك كما يشهد بذلك الواقع، فكم من أُسرة قد مزّقتها الأكاذيب، وعبثت بها الخيانة.

إنّ سعادة الإنسان تكمن في الاستقرار النفسي وراحة البال وحالة الهدوء والطمأنينة، وهذه الحالة هي التي تجعل من الإنسان منتجاً ـ كما سنلاحظ في الفصل اللاحق إن شاء الله ـ فالتفكير السليم، والنشاط السليم، والسلوك الحَسَن كلّها تنبع من الحالة النفسيّة الإيجابيّة التي يتمتّع بها الشخص.

الدائرة الثانية: الصدق مع الأصدقاء

لا تقلّ هذه الدائرة أهمّيّة عن الدائرة السابقة، فإنّ الشخص كما لا يتمكّن ـ عادةً ـ من الاستغناء عن الأُسرة لا يتمكّن من الاستغناء عن الأصدقاء، والعلاقة في دائرة الأصدقاء تتميّز عن العلاقة الأُسريّة بأنّ الشخص هو مَن يختار الأصدقاء المناسبين له، وهم ـ عادةً ـ يشتركون معه في الكثير من الصفات والطباع؛ ولهذا فهو يألفهم ويميل لهم، بينما العلاقة الأُسريّة قد لا تكون كذلك، فالشخص لا ينتخب أباه وأُمّه أو أولاده، فإنّه قد وُلد ووجد أبويه على هذه الشاكلة والطبيعة، وهكذا الأولاد، فإنّه لم يكن ليختار أمزجتهم وطباعهم وهي قد تختلف عنه.

وبسبب التقارب المزاجي والنفسي بين الأصدقاء يكونون أكثر صراحة وصدقاً، وقلّما يُخفي الصديق عن صديقه شيئاً مهمّاً، ومن هنا سُمّي الصديق

صديقاً، فإنّه من التصادق، فالصديق يصدق صديقه، وعلى هذا الأساس يكون من الطبيعي أن يتأثّر الصديق بصديقه، فيكتسب الكثير من أخلاقه وصفاته، ويتعلّم منه الضارّ والنافع؛ ولهذا تجد في روايات أهل البيت عليهم السلام اهتماماً كبيراً في انتخاب الصديق والجليس، وأنّ هناك صفاتٍ يلزم توفّرها في الصديق الذي يتمّ انتخابه ومعاشرته.

فأوّل تلك الصفات الصدق، وعلى حدّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام: «**أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة**»[١]، فالصراحة والوضوح والصدق في السريرة والعلانية من أهمّ الصفات التي يلزم توفرها في الصديق، فاذا كان الصديق يتمتع بهذه الصفة فمن الطبيعي أن يكون له تأثيرٌ إيجابيٌ في صديقه، فإنّ المرء على دين قرينه كما في الحديث[٢].

وتأثيرات الصديق تلاحق الإنسان حتّى في لحظاته الأخيرة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انظروا مَن تحادثون؟ فإنّه ليس من أحد ينزل به الموت إلّا مُثّل له أصحابه إلى الله إن كانوا خياراً فخياراً، وإن كانوا شراراً فشراراً، وليس أحد يموت إلّا تمثّلتُ له عند موته**»[٣]. ولعلّ المقصود أنّ الإنسان في لحظاته الأخيرة يُحضر إلى ذهنه صور أقرب الناس إليه ممّن كان يأنس بهم ويميل إليهم، ولا يكاد يفارقهم إلّا في أوقات قليلة، فإنّ كانوا

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٣٩.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٤٢.
(٣) المصدر السابق: ص٦٣٨.

خياراً وصالحين؛ فإنّ صورهم التي تحضر في ذهنه ستكون جميلة وتُعطي انطباعات طيّبة، وتُثير ذكريات رائعة عندما كانوا يرافقونه في أعمال الخير والبر، بخلاف ما إذا كانوا أشراراً؛ فإنّ الصور والذكريات التي ستتمثّل له ستكون مزعجة وسيّئة للغاية؛ إذ تحضر في ذهنه صور الظلم الذي كان يمارسه برفقتهم، وذكريات المغامرات الوقحة التي كانوا يغامرونها، ومما يقوّي هذا المعنى ما جاء في نسخة أُخرى للرواية، فقد ورد بدل قوله: «**إلّا مثل له أصحابه إلى الله**»، «**إلّا مثلت له أصحابه**»[1]، فإنّ الصديق إذا كان شرّيراً لا يصحب الشخص إلى الله، بل يصحبه إلى غير الله.

والصداقة تقتضي الصدق في النصح والمشورة، وتقديم كلّ ما يحتاجه الصديق من مساعدة عند الشدّة والمواقف الصعبة، ومن أهمّ ما يمكن أن يقدّمه الصديق لصديقه هو أن يكون مخلصاً له في النصيحة؛ فلو رأى أنّ صديقه يمشي في الطريق الخاطئ، فمن واجب الصداقة أن يُرشده إلى الطريق الصحيح، وإذا كان يمشي في الطريق الصحيح فالمرجوّ والمطلوب أن يدعمه ويشجّعه؛ وهذا هو معنى المساعدة والإعانة في النصح.

ولأنّ الصديق الناصح مما يُنتفع به في صلاح النفس وكمالها كان من الضروري المحافظة عليه والحرص على وجوده، وتمييزه عن باقي الأصدقاء والأصحاب، وقد نصح الإمام الباقر عليه السلام أحد أصحابه قائلاً: «**يا صالح اتّبع**

---

(١) المصدر السابق: الهامش.

مَن يُبكيك وهو لك ناصحٌ، ولا تتّبع مَن يُضحكك وهو لك غاشٌّ، وستردون على الله جميعاً فتعلمون»[١]، فالصديق الذي يستحقّ الصداقة والعشرة هو الذي يُسدي لنا خدمة تُعيننا على الخير والبرّ، بخلاف ذلك الذي يُضحكنا ويُلاطفنا ولكنّه يَغشّنا ويخدعنا، وفي حديث عن الإمام الصادقعليه السلام يتحدّث فيه عن أحبّ الأصدقاء، يقول: «**أحب إخواني إليّ مَن أهدى إليّ عيوبي**»[٢]. فالصديق الحبيب والمقرّب هو مَن يُسدي إليّ النُصح ويُبصّرني بعيوبي ونواقصي؛ فهذا هو الصديق الصادق في صداقته وإخوته.

الدائرة الثالثة: الصدق في العمل

من مقوّمات المجتمع المسلم المسؤوليّة، وأنّ كلّ فردٍ فيه مسؤول عن هذا الكيان، على حدّ تعبير النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله: «**كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته؛ فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راعٍ على بيت سيّده وهو مسؤول عنه؛ ألا فكلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته**»[٣].

والمسؤولية المطلوبة من كلّ فرد هي أن يؤدّي ما عليه من التزامات على أكمل وجه، وضمن الحدود المرسومة؛ فالأب مسؤول عن توفير مستلزمات

---

(١) المصدر السابق: ص٦٣٨.

(٢) المصدر السابق: ص٦٣٩.

(٣) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٢، ص٥٤ ـ ٥٥.

الحياة لعائلته من مأكل وملبس ومكان ونحو ذلك ممّا تتطلبه الحياة، ومسؤول ـ أيضاً ـ عن تربية أولاده التربية الصالحة النافعة، وهكذا المعلّم مسؤول عن تعليم ما في عهدته من تلاميذ، وإيصالهم إلى النضوج العلمي والتربوي المطلوب، وكذلك الموظّف في دائرة أو شركة حكوميّة أو أهليّة هو مسؤول ـ أيضاً ـ عن العمل المناط به. والأمثلة والمصاديق عديدة.

والجدير بالذكر أنّ تحمّل المسؤوليّة لا يعني فقط المسؤوليّة الدينيّة والقانونيّة فقط، بحيث لو خالف لعرّض نفسه للعقوبة الدينيّة أو القانونيّة، وإنّما يعني المسؤوليّة الأخلاقيّة أيضاً؛ وهي تحمّل تبعات العمل وآثاره، ومصدر هذه المسؤوليّة هو الضمير والوازع الذاتي؛ الذي يفرض على كلّ فرد اختار أن يكون مسؤولاً عن عمل معيّن أن يتحمّل نتائج ذلك العمل.

فخلفيّات المسؤوليّة ليست فقط الدين والقانون، بل هناك الضمير الإنساني الذي يدفع الإنسان إلى تحمّل مسؤوليّاته والقيام بها على أكمل وجه، فإنّ الشخص بدون هذا الضمير قد يتجاوز على الدين والقانون متى ما توهّم وجود فرصة لذلك؛ ولهذا نجد في الروايات تأكيداً متواصلاً على ضرورة إنماء هذا الضمير في داخل الإنسان؛ ليكون حاجزه الأوّل عن التنصّل عن مسؤوليّاته، وقد ورد «**لا يزال العبد بخير ما دام له واعظ من نفسه**»[1].

وتحمّل المسؤوليّة تعبير آخر عن مدى مصداقيّة الإنسان في العمل، ومستوى إخلاصه في أداء وظيفته وواجباته، ومقدار جدّيّته وحرصه على

---

(١) الكراجكي، أبو الفتح، كنز الفوائد: ص١٤٠.

إنجاز الأعمال المناطة به بشكلها الصحيح والمثالي، فالمعلّم الحريص على مستقبل تلاميذه، والمخلص في نصحهم وإرشادهم بعيداً عن أعين القانون والرقابة، صادقٌ في عمله، والموظّف الذي يقوم بعمله كما هو مطلوب منه صادق في مهنته، وهكذا الطبيب عندما يعالج المرضى ويبذل جهداً في سبيل شفائهم؛ يكون من مصاديق الإنسان الصادق في مهنته ووظيفته.

إنّ بناء المجتمع ورقيّه يتوقّف على مدى مصداقيّتنا في العمل، وتفانينا في المهامّ المناطة بكلّ واحدٍ منّا، ولو أنّنا جميعاً أدّينا ما علينا من واجبات على أكمل وجه؛ لرأينا العجب العجاب من النتائج والفوائد والثمرات التي سنحصل عليها، وفي القرآن الكريم إشارة واضحة إلى هذا المعنى؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[1]، فإنّ المراد من (أقاموا) أنّهم لو طبّقوا ما أراده الله منهم من أعمال بصدق وإخلاص؛ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، إلّا أنّهم ـ للأسف ـ ساء ما يعملون، وفي آية أُخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[2]، وهي تُشير إلى أنّ الإيمان لوحده لا يكفي، ولا يُحقّق الهدف المطلوب، ما لم تحصل

---

(١) المائدة: آية٦٦.

(٢) الأعراف: آية٩٦.

التقوى؛ وهي الجانب العملي والسلوكي لدى الإنسان، والتقوى تتضمّن إتقان العمل والإتيان به كما هو مطلوب.

ولكن مع كلّ هذه الفوائد التي يجنيها الناس من الصدق في العمل والإخلاص فيه، تُشير الآيتان في ذيلهما إلى واقع المجتمع المتردّي، وأنّه ـ مع شديد الأسف ـ على الرغم من التشجيع والنصح لا يعمل الكثير من أفراده بصدق وإخلاص، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾، و﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ فما نراه من تراجع أو نقصان أو انهيار إنّما يرجع إلى عدم المصداقيّة، وعدم العمل بأمانة وتفانٍ، فالمعلّمة التي تتأخّر عن الدخول إلى قاعة الدرس لمجرّد أنّها مشغولة بمكالمة ليست ضروريّة، أو لأنّها مشغولة في الحديث مع معلّمة أُخرى عن أحدث موضة الملابس والفساتين، أو يتأخّر الطبيب عن المريض؛ لأنّه مشغول في التفاوض مع صاحب الصيدليّة عن حصّته من مبيعات الأدوية، أو يترك الموظّف المراجعين مزدحمين على مكتبه وينشغل ببعض الأُمور غير الضروريّة، مثل لقاء بعض الضيوف أو تناول كوبٍ من الشاي أو القهوة؛ يكشف عن عدم شعور هؤلاء بالمسؤوليّة تجاه أعمالهم ووظائفهم التي يلزمهم القيام بها، ومن هنا فإنّ المجتمع سيتراجع عن النموّ والتقدّم المطلوب، وستسوده روح الإهمال والفوضى، وسيفقد الكثير من مقوّمات نجاحه ورُقيّه.

والخلاصة: الصدق في العمل شرط أساسي في بناء مجتمع يؤمن أهله بالمسؤوليّة، ويتطلّعون لرقيّه وتكامله، وتشييد حضارة عريقة، ينعم أبناؤها فيها بالطمأنينة والراحة والاستقرار.

الدائرة الرابعة: الصدق مع المجتمع

الإنسان اجتماعي بطبعه، يميل إلى الاندماج مع الآخرين، ويألف الحياة معهم، والقرآن الكريم يُشير بوضوح إلى هذه الطبيعة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[1]، فالإنسان لم يُخلق لوحده، بل نشأ من علاقة ثنائيّة بين ذكر وأُنثى، ثمّ تشعّبت هذه العلاقات فتحوّلت إلى شعوب وقبائل، والغاية من وراء ذلك هي التعارف، فهناك إذن ميل فطري إلى الآخر، وانجذاب طبيعي إلى تكوين علاقات مختلفة ومتنوّعة مع بقيّة أفراد المجتمع.

ولا شكّ في أنّ لهذه العلاقات أُسساً وقواعد تتحكّم بها قوّةً وضعفاً؛ مثل النسب فإنّه من الأُسس التي تُبنى عليها العلاقات؛ مثل: الأُبوّة والأُمومة والأُخوّة والعمومة والخؤولة، وغيرها من الروابط التي ترجع إلى النسب، ومثل المصاهرة، فإنّ الزواج من الأُسس المهمّة التي تُبنى عليها العلاقات، ومثل المصالح والمنافع التي تتحكّم في الكثير من العلاقات الاجتماعيّة، إلى غيرها من العلاقات المختلفة والمتعدّدة.

ولكن من أهمّ تلك العلاقات وأسماها، تلك القائمة على الصدق والصراحة والأمانة، فإنّها تكون ـ عادةً ـ قويّة ومتينة وذات منافع؛ لأنّ الصدق والأمانة يزرعان للشخص في نفوس الناس حبّاً ومودّة ورابطة حميمة، ومن الواضح أنّ العلاقة الناجحة هي التي تقوم على أساس المودّة؛

---

(١) الحجرات: آية١٣.

فهي التي تقرّب الناس وهي التي تبعدهم، فعن الحسن الزكيعليه السلام: «**القريب مَن قرّبته المودّة وإن بعد نسبه، والبعيد مَن بعّدته المودّة وإن قرب نسبه، لا شيء أقرب إلى شيء من يدٍ إلى جسد، وإن اليد تَغُلّ فتُقطع وتُقطع فتُحسم**»[1]، فالقرب والبعد لا يُقاس بالنسب، فإنّ اليد جزء من الجسد، ولكنّها لو خانت؛ أي: سرقت فإنّها تُقطع وتُحسم؛ أي: يُكوى مكانها، وإنّما القرب والبعد يُقاس بالقرب الروحي والنفسي، الذي يرجع إلى الصفات الأخلاقيّة العالية التي يتمتّع بها القريب، من صدق وأمانة ونحو ذلك.

إنّ العلاقة القائمة على القيم النبيلة والمبادئ السليمة؛ لهي علاقة حقيقة ومودّة متينة لا تضاهيها أيّة علاقة أُخرى، فقد نقل لنا التاريخ الإسلامي عن الكثير من الأشخاص الذين تركوا قومهم، وضحّوا بانتمائهم النسبي من أجل عقيدة حقّة وجدوها عند آخرين، من أمثال خالد بن سعيد بن العاص الأُموي، فإنه قد ترك أباه وحياة الرفاهية ولحق بالنبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله، وتحمّل صنوفاً من العذاب والاضطهاد من أجل العقيدة الحقّة، وبعد وفاة النبيّصلى الله عليه وآله لازم أمير المؤمنينعليه السلام، حتّى آخر عمره، وكان ذلك مخالفاً لهوى قومه من بني أُميّة وانحرافهم عن الحق[2]. وهذا سعد الخير، وهو من أبناء عبد العزيز بن مروان الأُموي قد رزقه الله ولاية أهل البيت ومودّتهم، وقد دخل على الإمام

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٤٣.

(٢) أُنظر: الاحتجاج: ج١، ص٩٧ وما بعدها، حيث ذكر رواية طويلة تكشف عن سيرته ومواقفه.

الباقر عليه السلام وجلس بين يديه باكياً فسأله الإمام: «**ما يُبكيك يا سعد؟ قال وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن، فقال له: لست منهم أنت أُموي منّا أهل البيت، أمّا سمعت قول الله عزّ وجلّ يحكي عن إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾**[1]»[2]. والأمثلة في هذا المجال كثيرة، والذي نريد قوله: إنّ القرب والبعد تتحكّم به علاقات تتجاوز حدود النسب، والصدق هو أهمّ تلك الروابط وامتنها.

فالمجتمع الذي تجمع أبناءه علاقات قائمة على الصدق والصراحة وحفظ الأمانة والحقوق؛ لا شكّ أنّه مجتمع سعيد، ينمو ويتقدّم ويرتقي؛ لأنّ التكامل في مختلف المجالات لا تصنعه الأكاذيب والخيانات وإنّما يصنعه الصدق والجدّيّة والإخلاص.

إنّ المجتمع الذي يسوده الصدق تقلّ فيه المشاكل والاضطرابات، وتكثر فيه الأُلفة والمحبّة والرضا، تماماً كالعائلة في البيت الواحد، فإنّ الأساس الذي تقوم عليه إذا كان هو الصدق وحفظ الحدود والخُلق العالي والاحترام؛ فإنّ روح الأُلفة والتفاهم هو السائد، فإنّ المشاكل إنّما تأتي أغلبها من الكذب والنفاق والخيانة، وعدم رعاية الحدود، وعدم حفظ الحقوق.

وخير برهانٍ على ذلك المجتمع الإسلامي في عهد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، الذي وصفه القرآن الكريم في قوله: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى**

---

(١) إبراهيم: آية٣٦.

(٢) المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الاختصاص: ص٨٥.

ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[1]، ووصف النبيّ أبناء المجتمع الإسلامي بقوله: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**»[2]. ويحدّثنا التاريخ عن الكثير من القصص والمواقف التي تكشف عن النضوج الأخلاقي والتربوي الذي بلغه الكثير من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، حيث كان النبيّ صلى الله عليه وآله يميّزهم بصفاتهم النبيلة، ولا يفتأ يؤكّد على تلك الصفات المهمّة، فهذا الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه الذي كان يتميّز بالصدق، وعدم المداهنة والمجاملة على الحق، فقد وصفه النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً: «**ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ**»[3]، وما قال النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك إلّا ليدعوا الآخرين إلى الاقتداء به والاتّصاف بصفته؛ لما لها من أهمّيّة اجتماعيّة قصوى، يتوقّف عليها بناء المجتمع الراقي المتميّز. وهذا الصحابي الجليل خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، قد عدّ النبيّ صلى الله عليه وآله شهادته بشهادتين لصدق لهجته وصلابة إيمانه، فقد رُوي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله «**اشترى فرساً من سواء**

---

(١) الفتح: آية٢٩.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند احمد: ج٤، ص٢٧٠.

(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ٥٣.

بن الحارث فجحده، فشهد له خزيمة بن ثابت فقال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم): ما حملك على الشهادة ولم تكن معه حاضراً! قال: صدقتك لما جئت به وعلمت أنّك لا تقول إلّا حقّاً. فقال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)، مَن شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه»[1].

إذن الصدق سرّ النجاح، وسرّ التوفيق، وسرّ السعادة التي يحلم بها كلّ إنسان، فإذا ما أراد الإنسان أن ينال السعادة والنجاح والعزّة والكرامة، فما عليه إلّا أن يكون صادقاً في كلّ المواقف، وقد سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم الناس فقال: «**مَن صدق في المواطن**»[2].

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٤، ص٨٧.
(٢) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، الأمالي: ص٤٧٩.

الفصل الثالث

دور الصدق في تنمية الذات وبناء الشخصيّة

الفصل الثالث: دور الصدق في تنمية الذات وبناء الشخصيّة

في البداية لا بدّ لنا من طرح السؤال التالي:

هل تقبل الذات التطوّر والنموّ؟

والجواب: إنّها تقبل ذلك بالبداهة، فإنّنا إذا رجعنا إلى الوجدان؛ نجد أنّ مداركنا وعقولنا ومشاعرنا تنمو كما تنمو أجسامنا، فكما أنّنا نمرّ بمراحل مختلفة من التطوّر والنموّ من عهد الطفولة إلى عهد الشيخوخة، كذلك فإننا نمرّ بمراحل من النضوج الذهني والنفسي؛ فمداركنا تتّسع، ومشاعرنا وأحاسيسنا تتغيّر وتتطوّر، فكلّ يوم نتعلّم شيئاً جديداً فتتسع خبراتنا في الحياة، وتزداد معرفتنا في مختلف المجالات.

وقانون التطوّر والنموّ قانون عامٌّ لا يقبل الاستثناء، فكلّ إنسان في تطوّر وتغيّر، ولكنّه يختلف من شخص إلى آخر، فقد يكون التطوّر إيجابيّاً وقد يكون سلبيّاً؛ مثل الشجرة التي تكبر وتنمو فقد تكبر بشكلٍ سلبيٍّ فتفسد أغصانها العوجاء البناء والأماكن الجميلة، وتؤذي الناس إذا أُهملت وتُركت العناية بها، وأمّا لو حظيت بعناية خاصّة، فتمّ قطع أغصانها الزائدة والملتوية؛ فإنّها ستكبر وتنمو بشكلٍ إيجابيٍّ، فينتفع بها الناس ويستفيدون منها فوائد جمّة، وكذلك هي الذات إذا ما تمّ إهمالها فإنّها ستنمو بشكلٍ سلبيٍّ، مثل ذلك الغصن المعوجّ، أو اليدّ التي كُسرت ولم يتمّ إصلاحها بشكل سليم فإنّها ستنمو وهي مشوّهة، بينما لو حصلت الذات على الاهتمام والرعاية والتربية

والتهذيب الكافي؛ لتطوّرت ونمت بشكلٍ إيجابيٍّ ومفيد، فهذا النموّ يخضع له كلّ شخص في هذه الحياة، ولا يوجد مَن لا يخضع لذلك، فالذي يرى ـ وهو في مرحلة من مراحل الحياة ـ أنّه قد بلغ مبلغاً لا يمكن معه أن يتغيّر أو يتطوّر إيجاباً أو سلباً فهو واهم؛ لأنّ الاختيار والقرار لا يزال بيده طالما هو في هذا العالم، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1].

مفهوم تطوير الذات

تطوير الذات يعني: «**سعي الشخص من أجل أن يكون في وضع أفضل من وضعه الحالي، ويتمّ ذلك من خلال تحسين مؤهّلاته وإمكانيّاته وقدراته، ومن خلال إدراك نقاط الضعف ونقاط القوّة في شخصيّته وتنميتها وتطويرها، ويتضمّن تطوير الشخصيّة على تطوير مهارات التواصل مع الآخرين، والقدرات العقلية، والقدرة على السيطرة على ردود الفعل والمشاعر، وتعلم السلوكيّات الإيجابية والمهارات الجديدة**»[2].

ومن أولويات تنمية الذات الالتفات إلى الإيجابيات، وجعلها منطلقاً لمعالجة الإخفاقات التي تعترض طريق الإنسان، وتغيير المسار من حالة

---

(١) الشمس: آية٧ ـ ١٠.

(٢) تحسين الذات وعلاقته بالثقة بالنفس، مقال منشور على الإنترنت.
https://mattn.com.sa/blog

اليأس والضعف إلى حالة التفاؤل والأمل، فالنجاح والفشل يرجعان إلى الحالة النفسيّة التي يعيشها الشخص.

إنّ التفكير الإيجابي ومحاولة التغلّب على الخطأ، والتحرّك بالاتجاه الصحيح، والتحرّر من التفكير السلبي وسيطرة المشاعر السلبيّة؛ مثل: «إنّني لا أستطيع» و«لا يمكن أن أنجح» و«أنا فاشل» و«لا نجاة لي من العقوبة» وغيرها من مشاعر الضعف، هو واحدٌ من الأهداف الأساسيّة لمشروع التنميّة البشرية.

وبعبارة مختصرة: إنّ مشروع تنمية الذات يهدف إلى بناء الذات، أو ترميمها، بشكل سليم؛ من خلال رفع المعنويات، والتفكير الإيجابي، وتطوير المهارات والقدرات، ورسم الأهداف، ووضع الاستراتيجيّات، وغيرها ممّا يدفع بالإنسان نحو الكمال.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ علم التنمية البشريّة وتطوير الذات، والذي يحظى حاليّاً باهتمام الباحثين الاجتماعيّين والنفسيّين هو في الأساس مشروع الرسالات الإلهيّة، ومن أهمّ أهداف الرسل والأنبياء والقادة الإلهيّين، والشاهد على ذلك آيات الكتاب العزيز، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام فإنّها مليئة بالإرشادات والتوصيات النافعة في هذا المجال، والذي يطالعها يجزم أن لا مكان لليأس والمستحيل، وإنّما المطلوب هو العمل الدؤوب نحو الإصلاح والتكامل، فعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، ونقرأ في

(١) الزمر: آية٥٣.

الحديث: «**عن جعفر، عن أبيه قال: قال رسول الله**صلى الله عليه وآله: **للحاجّ والمعتمر إحدى ثلاث خصال: إمّا يُقال له: قد غُفر لك ما مضى وما بقي، وإمّا أن يُقال له: قد غُفر لك ما مضى فاستأنف العمل، وإمّا أن يُقال له: قد حُفظت في أهلك ووِلْدك، وهي أحسنهن**»[1]. فهل يبقى هناك مكانٌ لليأس والقنوط؟ وهل تبقى هناك غير مشاعر التفاؤل والأمل والإحساس الإيجابي، والرغبة في العمل؟.

وموضوع أُسس التنمية البشريّة في القرآن الكريم، وعند أهل البيت عليهم السلام، من المواضيع الثرّة والمهمّة، قد نُوفّق ـ يوماً ـ لدراستها وعرضها بشكل مفصّل، ولكنّ المهم أنّنا أردنا أن نلفت النظر هنا إلى أنّ ما يطرحه علماء التنمية البشريّة اليوم، كان قد طرحه القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام قبل أكثر من ألف سنة؛ ولذا فمن الجدير بنا أن نتمعّن كثيراً في هذين المصدرين الحيويّين؛ لنستلهم الرؤى الصحيحة، والحركة، والنشاط المستمر.

مساهمة الصدق في البناء والتنمية

إنّ أهمّ قاعدة في تطوير الذات وبنائها هي الصدق؛ لأنّ عملية البناء الصحيح تحتاج إلى أساس صحيح، وهو يتطلّب الصدق والصراحة مع النفس أوّلاً، ومع الآخرين ثانياً، فعندما يذهب المريض إلى الطبيب لغرض العلاج، فإنّ الطبيب حينما يسأله عمّا يشعر به من آلام وأعراض فلا بدّ أن

---

(١) الحميري القمّي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص١٠٨.

يكون صادقاً في أجوبته، وإلّا فإنّه سيتلقّى علاجاً خاطئاً، وبالتالي سيقع في الضرر، ويتضاعف عليه المرض؛ إذن أوّل خطوة نحتاجها في تنمية الذات وتطويرها هي الصدق والصراحة.

ولكي يتّضح أكثر دور الصدق وأهمّيّته في تطوير الذات نذكر النقاط التالية:

١ـ الحالة النفسيّة للصادق، فإنّ الشعور بالصدق يكسب الشخص شعوراً وإحساساً بالرضا النفسي، والسلام الداخلي؛ لأنّ قول الحقيقة مهما كانت يكسب الشخص الشعور براحة الضمير، فهو بالصدق والصراحة يتجنّب الشعور بالقلق والخوف من ردود الأفعال، فالذي يُخفي عن والديه نتيجة الامتحان يبقى في حالة قلق وخوف مستمرّ، بينما لو أخبرهم الحقيقة فإنّه قد يبقى يخاف العقوبة، ولكنّه من الناحية النفسيّة قد تخلّص من القلق الذي كان يُسيطر عليه حتّى في أثناء النوم خوفاً من أن يتكلّم وهو نائم بما يُثير الشكوك لدى الآخرين، فتبدّل لديه الشعور بالقلق وتأنيب الضمير إلى الشعور بالرضا والسلام الداخلي؛ ولهذا يؤكّد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة أن يشعر الشخص بالصدق، فعن الإمام الحسن الزكي عليه السلام: «**الصدق طمأنينة**»[1]، وقال الصادق عليه السلام: «**يا فُضيل إنّ الصادق أوّل مَن يصدّقه الله عزّ وجلّ، يعلم أنّه صادق، وتصدّقه نفسه تعلم أنّه صادق**»[2].

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص٢٠٠.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٤.

إنّ الشعور بالقلق والتوتّر النفسي يؤثّر بشكل كبير على جسم الإنسان؛ حيث يضعف الجهاز المناعي ممّا يجعل الشخص أكثر عرضة للإصابة بالأمراض، كما يؤثّر على العقل والذهن؛ حيث يفقد الشخص قدرته على التركيز، وبالتالي يفقد قدرته على التفكير السليم.

ومن هنا نعرف أهمّيّة الصدق الذي يوفّر للشخص الشعور بالرضا والارتياح وراحة الضمير، ممّا يُقوّي مناعة الشخص بدنيّاً وذهنيّاً؛ فيجعله أكثر قدرة على التفكير السليم، وأكثر إنتاجاً وإبداعاً في مختلف الميادين، ومنها في ميدان إصلاح النفس وتهذيبها.

٢ـ الصدق والصراحة يدلّان على القوّة والشجاعة، فإنّ الذي يستطيع أن يقول الحقيقة متحمّلاً كلّ النتائج التي تترتّب على ذلك، إنّما هو شخص شجاع، ويتمتّع بقوّة شخصيّة، والشجاعة عنصر مهمّ في عمليّة تطوير الذات وبناء الشخصيّة القويّة، فإنّ نفس الشعور بالشجاعة من المشاعر والأحاسيس الإيجابيّة التي تُكسب الشخصيّة قوّة؛ ولهذا فهي فضيلة، بينما الشخص الكاذب يرافقه الشعور بالجبن والهزيمة؛ إذ هو لا يملك من الشجاعة ما يكفيه لمواجهة الحقيقة، فهو يخشى كلمة الصدق.

وفي الحديث عن النبي الأكرمﷺ: «**المؤمن القوى خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف**»[1]، فإنّ المجتمع لا ينتفع بالشخص الضعيف الجبان الخائف الذي لا يقوى على قول الحق، والذي يُخفي الحقيقة خوفاً من ردود

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم: ج٨، ص٥٦.

الأفعال، إنّ مثل هذا الشخص لا يمكن الاعتماد عليه في أيّ مشروع؛ لأنّ المشاريع تحتاج لأشخاص أقوياء يمتلكون إرادة وشجاعة وإصرار وتحمّل؛ ولهذا تجد أنّ كلّ الحضارات الإنسانية إنّما بناها الأقوياء الشجعان؛ الذين لا يعرفون غير الصدق والوفاء والجدّيّة والمثابرة.

ومن لطيف الحديث ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو تميّزت الأشياء لكان الصدق مع الشجاعة، وكان الجبن مع الكذب**»[1]، فالشجاعة تُلازم الصدق بينما الجبن يُلازم الكذب.

٣ـ الصدق يوفّر لصاحبه فرص للنجاح أكثر وأكبر؛ لأنّه عندما يقول الحقيقة فإنّه سيتلقّى من الآخرين التقييمات والانتقادات ولربّما التأييد، ومن الطبيعي أنّ مثل هذه التقييمات سينتفع بها الشخص، تماماً مثل الكاتب عندما يعرض كتاباته على لجنة مختصّة لتقييمه قبل طباعته، فإنّه سيتلقّى الكثير من الملاحظات التي ترفع من مستوى الكتاب علميّاً وفنّيّاً، وهكذا التاجر عندما يعرض مشروعه التجاري على أصحاب الخبرة، فإنّه سينتفع حتماً بنصائحهم وأفكارهم، وهكذا، فالشخص الصادق يتعرّض أحياناً بسبب صراحته إلى الكثير من النقد والتأنيب، ولكنه في نهاية الأمر سيحصل على الكثير من النصائح التي تجعل فرص نجاحه في الحياة أكثر من غيره.

٤ـ بالصدق يتفادى الشخص الكثير من الذمّ والقدح، فإنّ المجتمع ينتقد الكذّاب ويذمّه ويقلّل من شأنه، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الصادق**

---

(١) الليثي الواسطي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص٤١٧.

لكريم جليل، إنّ الكاذب لمهان ذليل»[١]، ولا شكّ أنّ الذمّ له آثار سلبيّة على نفسيّة الشخص، بخلاف المدح والثناء والإطراء، فإنّه يرفع من المعنويات، ويدفع الشخص إلى المحافظة على هذه الصفة التي قد جلبت له كلّ هذا المديح والإطراء.

والإنسان إذا عُرف بخصلة حسنة فإنّه يحاول قدر الإمكان المحافظة عليها؛ لئلّا يخسر اعتباره ومكانته؛ فالكريم إذا ما عُرف بهذه الصفة فإنّه لا يتمكّن أن يتنازل عنها مهما كانت الظروف والأحوال، وهكذا مَن عُرف بالشجاعة والإقدام؛ فهذا المتنبّي الشاعر، قتله بيتٌ من أبيات شعره التي قد عُرف بها، فإنّه لمّا هجم عليه جماعة حاول الهرب فناداه «**غلام له، أين قولك:**

الخيـل والليـل والبيـداء تعرفنـي والحرب والضرب والقرطاس والقلمُ

فقال له: قتلتني، قتلك الله، والله لا انهزمت اليوم، فرجع كارّاً ... فقُتل»[٢].

فالشخص إذا عُرف بالصدق والصراحة، وصار ذلك سبباً في مدح الناس له وثنائهم عليه؛ يصعب عليه بعد ذلك أن يصدر منه الكذب، فيفقد ذلك المدح، ويخسر ذلك الذكر الحسن على ألسنة الناس.

---

(١) المصدر السابق: ص١٤٣.

(٢) القاضي التنوخي، المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: ج٤، ص٢٥٠، وما بعدها.

إذن، فالصدق يجلب للإنسان المديح والذكر الحسن والمقبوليّة الاجتماعيّة؛ وهذا من العوامل المهمّة التي تدفع بالشخص للمحافظة على هذه الخصلة وتنميتها وتطويرها.

خطوات تطوير مهارة الصدق

هناك عدّة خطوات يمكن من خلالها تدريب النفس على امتلاك مهارة الصدق أو المحافظة عليها وتطويرها؛ وهي كما يلي:

الخطوة الأُولى: لقّن نفسك الصدق، وأنّك قادرٌ على أن تكون صادقاً، فقل في نفسك: «أنا أستطيع أن أكون صادقاً»، و«أنا صادق مع نفسي فلِمَ لا أكون صادقاً مع الآخرين؟».

إنّ أوّل خطوة نحتاجها في تصحيح أيّ خطأ؛ هي: أن نتحدّث مع أنفسنا ونلقّنها ما هو الصحيح، ثُمّ نشجّعها على ذلك، ونطرد فكرة الفشل وعدم القدرة والخوف من عواقب الأُمور، وما شاكل ذلك من الموانع والمثبّطات.

الخطوة الثانية: التفكير بفوائد الصدق ومضارّ الكذب، وملاحظة عواقب كلّ منهما، والأمثلة والشواهد كثيرة سواء منها ما نقرأه في كتب التاريخ، أو ما نصادفه في حياتنا اليوميّة، فكم تحدّث لنا التاريخ عن أشخاص تعرّضوا لمواقف صعبة ولكنّ الله نجّاهم لصدقهم، بخلاف غيرهم ممّن كذبوا وخانوا حيث كانت عاقبتهم سيّئة، وفي حياتنا اليومية نجد الكثير من الناس

قد فقدوا مكانتهم ومنزلتهم، ومواقعهم وسمعتهم بسبب الكذب والخيانة، بينما نجد البعض بقي محافظاً على مكانته وموقعه لصدقه وأمانته.

إنّ ملاحظة مثل هذه الأمثلة والوقوف عندها، والتفكّر فيها؛ يولّد الرغبة والقناعة بأهمّيّة الصدق وضرورته وفوائده.

الخطوة الثالثة: اقرأ عن قصص الصادقين، وشاهد وتابع البرامج التربويّة التي تحثّ على الصدق؛ مثل: قصص الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام والعلماء والصالحين، ومثل قصص المفكّرين والعباقرة الذين اعتمدوا سبيل الصدق في بلوغ غاياتهم وتحقيق أهدافهم، وكالمسلسلات الهادفة التاريخيّة منها والاجتماعيّة التي تدور أحداثها عن الصدق والصادقين.

الخطوة الرابعة: استشر مَن تثق به من أهل المشورة، وتعلّم منه كيف تكون صادقاً، وكيف تتغلّب على خصلة الكذب؟ وما هي الطرق الصحيحة والأفكار النافعة في هذا المجال؟

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام حثٌّ على المشورة بشكلٍ عامٍّ، وترغيب إليها؛ لما فيها من المنافع ودفع المضارّ، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ما شقي عبدٌ قطّ بمشورة**»[1]، فالذي يستشير أهل الخبرة؛ يهتدي إلى الخير، ويتعرّف على الإيجابيّات والسلبيّات، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ومَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا**»[2]، فأيّ فائدة أعظم من مشاركة الآخرين في عقولهم.

---

(١) القضاعي، محمّد بن سلامة، مسند الشهاب: ج٢، ص٦.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، (تحقيق: صبحي الصالح): ص٥٠٠.

والمهمّ، فإنّ من الخطوات المهمّة مشاورة أهل الخبرة في كيفيّة تعلّم الصدق، وطرق المحافظة عليه.

الخطوة الخامسة: احرص على كسب أصدقاء صادقين مخلصين أوفياء، وتجنّب مصادقة الكذّابين الخائنين، فإنّ المرء على دين خليله، والقرين يُعرف بقرينه، فالصديق الصادق يُعينك على الصدق، ويحثّك على الصراحة، ويمنعك من الكذب. وقد تقدّم الحديث عن هذا الموضوع في الفصل السابق.

الخطوة السادسة: جرّب أن تكون صادقاً في تمام اليوم، فإن نجحت جرّب أن تكون صادقاً في تمام الأُسبوع ثمّ الشهر، وهكذا، فإنّك ستجد الأمر سهلاً، ومن الضروري أن تراقب الآثار والنتائج المترتّبة على صدقك، فماذا شعرتَ في ذلك اليوم عندما كنت صادقاً فيه؟ وكيف كان يومك؟ وما هي الحالة النفسيّة التي أحسست بها؟ وما هي ردود الأفعال؟ وما هي انطباعات الآخرين عنك؟ ماذا قال لك أصدقاؤك؟ وماذا قالت لك زوجتك؟ كلُّ هذه وغيرها يلزمك مراقبتها والتفكير فيها؛ لتكون عوناً لك على مواصلة الصدق في الأيّام الأُخرى.

الخطوة السابعة: استعمل التورية ـ وهي أن يكون للكلام معنى ظاهر وآخر خفي، فتطلق الكلام وتقصد المعنى الخفي بينما يتبادر إلى السامع المعنى الظاهر ـ بدل الكذب إذا شعرت بالحاجة إلى ذلك[1]، فإنّ استعمالها وإن كان

---

(١) قد تناولنا (التورية) وبحثناها بشكل مفصّل في كتاب (الكذب مفتاح الخبائث)؛ يمكن مراجعتها هناك.

يُوهم السامع، ويُخفي عليه حقيقة ما يُريد معرفته، ولكن لها مردود نفسي إيجابي وهي شعور الشخص بأنّه لم يكذب.

الخطوة الثامنة: الإصرار على مواصلة الصدق وتكرار المحاولة، وعدم اليأس والتراجع فيما لو وقعتَ في الكذب، وضعفت عن الصدق في موقف أو أكثر، فإنّ المطلوب المواصلة والتكرار، مثل النملة التي تحمل الطعام وهي تحاول التسلّق إلى أعلى الجدار، فإنّها تسقط ولكنّها تحاول عدة مرّات دون يأسٍ أو مللٍ، وقد تنجح في نهاية المطاف، فهلّا تعلّمنا منها كيف ينبغي أن يكون النجاح؟.

الفصل الرابع

الصدق ... آثار وثمرات

الفصل الرابع: الصدق ... آثار وثمرات

آثار الصدق جمّة، وثمراته عديدة، لا تخفى على أحد، فإنّنا نلمسها ونحسّها في حياتنا اليوميّة، فالصدق سبب في الرقيّ العلمي والتكنولوجي وعامل أساسي في تطوّر المجتمع وصلاحه، فلو كانت النظريّات العلميّة مكذوبة لما أمكن الاعتماد عليها، ولو كان الباحثون والعلماء والمفكّرون يكذبون على الناس؛ لما أمكن الاستفادة منهم، ولكان الاعتماد عليهم موجباً لارتكاب الأخطاء.

والصادق يحتلّ مكانة اجتماعيّة مرموقة في أيّ مجمع كان، حتّى في المجتمع الذي لا يحترم الأخلاق ويسوده الكذب ـ على فرض وجوده ـ فإنّه ينحني للصادق إجلالاً وتقديراً، والواقع خير شاهد وبرهان، فهذا رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله عاش في مجتمعٍ جاهليٍّ متخلّفٍ بعيدٍ كلّ البعد عن القيم والأخلاق، ولكنّه مع ذلك كان يحترم (محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله)؛ لأنّه كان صادقاً أميناً، وكانوا يشهدون له بذلك حتّى بعد النبوّة على الرغم من إنكارهم وجحودهم؛ وما ذاك إلّا لفضيلة الصدق ومكانته.

وآثار الصدق ونتائجه الحميدة لا تقتصر على الدنيا فقط، فهناك آثار يجدها الصادق في الآخرة أيضاً، ولكي نتعرّف على هذه الآثار بشكل مفصّل؛ سنقوم ببحثها دنيويّاً تارةً، وأُخرويّاً تارةً أُخرى.

البحث الأوّل

الآثار الدنيويّة

إنّ ما يميّز الآثار الدنيويّة عن الآثار الأُخروية أنّنا نشعر بها ماديّاً أو معنويّاً، ونلمسها في الوجدان وفي الخارج، بل إنّنا ـ أحياناً ـ نكون جزءاً من تلك الآثار، أو مظهراً من مظاهرها، فنحن نحترم الصادق وننقاد إلى قوله، أو نلاحظ نظرة الآخرين الإيجابيّة نحونا عندما نكون صادقين، بينما الآثار الأُخرويّة ليست كذلك، فإنّها غائبة عنّا تماماً، إذ موطنها عالم الآخرة؛ ولهذا فإنّنا نعتمد في ذلك على إخبارات الكتاب العزيز والسُنّة المطهّرة.

وممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ هناك أشياء واضحة جداً، ولكنّنا لشدّة وضوحها لا نلتفت إليها، إلّا إجمالاً؛ فمثلاً: نحن نعلم أنّ وجود النهار موقوف على وجود الشمس، ولكن في أحيان كثيرة نغفل عن وجود الشمس في النهار، ولا نلتفت إلى مكان وجودها، وهكذا وجود الأب في حياة الأُسرة قد لا يُلتفت إلى أهمّيّته إلّا مع فقده أو غيبته، وهذه مسألة طبيعيّة؛ ولهذا فإنّ فوائد الصدق وآثاره من الصنف الذي قد يُغفل عنه لشدّة وضوحه ونصاعته، وبناءً على هذا فإنّ ما سنذكره من آثار وثمرات للصدق، لا تعدو أكثر من توضيح الواضحات، بل لا تشكّل إلّا أقلّ القليل من فوائده وآثاره.

الثمرة الأُولى: الاستقرار النفسي

إنّ من بين الثمرات المهمّة هي المردودات النفسيّة الإيجابيّة التي يتركها الصدق في نفس الإنسان وذهنه؛ كالاطمئنان، والسكينة، وعدم القلق والتوتر والخوف، فإنّ الصادق يتمتّع بنوع من الاستقرار النفسي، وهدوء البال، واطمئنان النفس؛ إذ ليس لديه ما يُخفيه ليخشى من انكشافه، كما هو حال الكذّاب الذي هو في قلقٍ دائمٍ وتوترٍ مستمرٍّ وخشيةٍ وخوف؛ فإنّه يخاف أن يكتشف الآخرون كذبه وخداعه، ويخشى من افتضاح أمره، وفي الحديث عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، أنّه روى عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، قوله: «**دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك، فإنّ الصدق طُمأنينة، والكذب ريبة**»[1]، والريبة بمعنى: الشكّ[2]، فالذي يكذب يقع في الريبة والشكّ؛ وهو أمر يجعل صاحبه في قلق وتوتّر بشكل مستمر، بينما الصدق يُوجب الاطمئنان وراحة البال وهدوء النفس؛ إذ ليس هناك ما يخاف عليه من الانكشاف، وصحيح أنّ قول الحقيقة ـ أحياناً ـ يؤدّي إلى القلق وعدم الارتياح، ولكنّه يبقى أمراً مؤقّتاً سرعان ما يزول، بينما إخفاء الحقيقة يكون مقلقاً بشكل أكبر وقد يلازم صاحبه مدى الحياة.

ومن الواضح ما للاطمئنان من مردودٍ نفسيٍّ كبير على فكر الإنسان وسلوكه وحياته، فإنّ الذي يعيش حالة الاطمئنان يستطيع أن يفكّر بشكل

---

(١) الطيالسي، سليمان بن داوود، مسند أبي داوود الطيالسي: ص١٦٣.
(٢) ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٢٨٦.

جيّد، ويعمل بشكل جيّد، ويمارس حياته بشكل جيّد؛ إذ لا يوجد ما يُقلقه، وما يشغل باله وفكره؛ فيزداد بذلك إنتاجه الفكري والثقافي، ويشعر بنوعٍ من الراحة النفسيّة التي لها تأثيرٌ إيجابيٌّ على الصحّة.

إذن، الصدق يُورث الاستقرار النفسي لصاحبه؛ ممّا يُعطي للحياة شكلاً من أشكال السعادة والراحة.

الثمرة الثانية: نيل ثقة الآخرين

إنّ الكذّاب مهما تمكّن من الحصول ـ عن طريق الكذب ـ على بعض المكاسب الماديّة أو المعنويّة، إلّا أنّه لا يستطيع أن يحصل على ما يحصل عليه الصادق بصدقه؛ من مكانة اجتماعيّة، وموقع مرموق في قلوب الناس ونفوسهم، وفي الحديث: «**مَن صدق مقاله زاد جلاله**»[1]، فالناس لا يثقون إلّا بالصادق المخلص في قوله وفعله وسلوكه؛ وهذه الثقة تُشكّل عاملاً مهمّاً من عوامل الترابط الاجتماعي وتقوية أواصره، وزيادة في المودّة والمحبّة، وعليها تُبنى العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وخير مثال على ذلك ما حصل مع نبيّ الله يوسف عليه السلام، الموصوف في الكتاب العزيز بـ (الصدّيق)[2]، فإنّه ما بلغ ما بلغه إلّا بالصدق والتقوى، فبعد أن بيع عبداً، وعاش دهراً كعبد من العبيد في بيت العزيز، ثمّ أُدخل السجن ظلماً وعدواناً، فإذا به يُملَّك خزائن الأرض، ويُصبح عزيز مصر وسيّدها، يأمر وينهى، وقد انقاد له الجميع؛ وما ذاك إلّا لصدقه.

---

(١) الليثي الواسطي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص٤٥٥.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾، يوسف: آية٤٦.

فالصدق إذن يهب لصاحبه مكانةً ومنزلةً في النفوس، لا يبلغها أحدٌ غيره، وفي حديث أبي كهمس قال: «**قلتُ لأبي عبد الله**عليه السلام: **عبد الله بن أبي يعفور يُقرئك السلام، قال: عليك وعليه السلام إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام، وقل له: إنّ جعفر بن محمّد يقول لك: أُنظر ما بلَغ به عليٌّ**عليه السلام **عند رسول الله**صلى الله عليه وآله **فالزمه، فإنّ عليّاً**عليه السلام **إنّما بلَغ ما بلَغ به عند رسول الله**صلى الله عليه وآله **بصدق الحديث وأداء الأمانة**»[1].

وممّا يجدر الالتفات إليه هو أنّ شعور الشخص بثقة الناس به؛ يعطيه مزيد احترامٍ لنفسه وتقديرٍ لها، فالذي يشعر أنّ الآخرين يثقون به، يعتبر نفسه عنصراً صالحاً، أو على الأقلّ عنصراً إيجابيّاً، والشعور بالإيجابيّة يقود الشخص إلى الرقُيّ والكمال دوماً.

كما أنّه ـ بناءً على هذا الشعور ـ يحاول تجنّب كلّ ما من شأنه أن يُفقده هذه المنزلة وهذا الاحترام؛ فلذا تجده يحرص على الصدق والأمانة والإخلاص، وكلّ ما يُبقيه ثقةً عند الآخرين.

الثمرة الثالثة: النجاة في المواقف

تؤكّد التجربة على أنّ الصدق يُنجي صاحبه في المواقف الصعبة، ويُجنّبه العواقب الوخيمة، ولعلّ ذلك سُنّة من السُنن الاجتماعيّة، التي تعطف على

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٤.

الإنسان لصدقه، فتهبه النجاة في المواقف التي لولا صدقه لكانت عاقبته أسوأ عاقبة، ونهايته مأساويّة، وقد روى المحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فأَوَوْا إلى غارٍ فانْطَبَقَ عليهِم، فقال بعضُهُم لِبَعْضٍ: إنَّهُ والله يا هؤلاء لاَ يُنْجِيكُمْ إلّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فقال واحِدٌ مِنْهُمْ: اللّهُمّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنّهُ كان لِي أجِيرٌ عمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أرُزٍّ فذَهَبَ وتَرَكَهُ، وأنِّي عَمَدْتُ إلى ذَلِكَ الفَرَقِ فزَرَعْتُهُ فَصارَ مِنْ أمْرِهِ أنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَراً، وأنَّهُ أتَانِي يَطْلُبُ أجْرَهُ؛ فقُلْتُ له اعْمِدْ إلى تِلْكَ البَقَرِ فسُقْهَا، فَقالَ لِي: إنَّما لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ له: اعْمِدْ إلى تِلْكَ البَقَرِ؛ فإنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَساقَها، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجُ عَنَّا فانْسَاخَتْ عنهُمُ الصَّخْرَةُ، فقالَ الآخَرُ اللّهُمّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّهُ كانَ لِي أبَوَانِ شَيْخَانِ كبيرانِ فكنتُ آتِيهِما كلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فأبْطَأتُ عَلَيْهِمَا فَجِئْتُ وقَدْ رَقَدَا وأهْلِي وعِيَالِي يتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لاَ أسْقِيهِمْ حتّى يَشْرَبَ أبَوَايَ فكَرِهْتُ أنْ أوقِظَهُمَا وكَرِهْتُ أنْ أدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فلَمْ أزَلْ أنْتَظِرُ حتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فعَلْتُ ذلكَ مِن خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنّا، فانْسَاخَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حتَّى نَظَرُوا إلى السَّماءِ، فقال الآخَرُ: اللّهُمّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّهُ كانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أحَبِّ الناسِ إلَيَّ وإنِّي رَاوَدْتُهَا عنْ نَفْسِها فأبَتْ إلّا أنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينارٍ، فطَلَبْتُهَا حتّى قَدَرْتُ فأتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُها إلَيْهَا فأمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فقالَتِ

اتّقِ الله ولاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وتَرَكْتُ المِائَةَ دِينارٍ، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، ففَرَّجَ الله عَنْهُمْ، فخَرَجُوا ...»[١].

وقد صدق أمير المؤمنين عليه السلام، وهو القائل: «**ألا إنّ الصادق على شفا منجاة وكرامة ...**»[٢]، حقّاً الصدق يُنجي صاحبه في المواقف الصعبة؛ ولهذا حثّتنا الشريعة الإسلاميّة على التزامه وعدم الحَياد عنه مهما كانت النتائج، إلّا ما استُثني، ففي الحديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «**مَن صَدَقَ الله نجا**»[٣]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام، «**الصدق يُنجيك وإن خفته. الكذب يُرديك وإن أمنته**»[٤]، فالإنسان أحياناً يخاف من الصدق، ويظن أنّه سيؤدّي به إلى عاقبة غير حميدة، ولكنّ الإمام عليه السلام يقول: ليس الأمر كما تظن، فإنّ الصدق سوف يُنجيك في نهاية الأمر، وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تحرّوا الصدق، وإن رأيتم فيه الهلكة، فإنّ فيه النجاة**»[٥]، فإنّه يُشير إلى الفرق بين تقدير الإنسان وحساباته، وتقدير الله وحساباته، فقد يرى الإنسان أنّ في صدقه الهلاك، إلّا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يؤكّد أنّ فيه النجاة خلافاً لما يظنّه الإنسان.

ويؤكّد القرآن الكريم على هذه الحقيقة من خلال قصّة الثلاثة الذين تاب الله عليهم بسبب صدقهم، والقصة باختصار هي: أنّ ثلاثة من الأنصار

---

(١) العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري في شرح البخاري: ج١٦، ص٥٢.
(٢) البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن: ج١، ص٢٩٠.
(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٩٩.
(٤) الري شهري، محمّد، ميزان الحكمة: ج٥، ص٤١، نقلاً عن غرر الحكم.
(٥) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمّد بن عبيد، الصمت وآداب اللسان: ص٢٣١.

وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة، قد تخلّفوا عن الالتحاق بغزوة تبوك، ولكن لم يكن تخلّفهم عن تخاذل ونفاق، وإنّما عن توانٍ، ثمّ ندموا على ذلك، وجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، معتذرين، وقد أخبروه الصدق في سبب تخلفهم، ولم يكذبوا عليه، إذ كان بإمكانهم أن يعتذروا ببعض الأكاذيب، فيتعلّلوا بالمرض أو بعض المشاغل، ولكنّهم آثروا أن يقولوا الحقيقة، فأمرهم أن يمضوا حتّى يقضي الله فيهم أمره، وأمر صلى الله عليه وآله المسلمينَ باعتزالهم ومقاطعتهم، ومنعهم من التكلّم معهم، حتّى نسائهم، وبقوا على ذلك خمسين ليلة، وقد اجتهد الثلاثة في الدعاء والتوبة، ثمّ نزل فيهم قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، فجاءهم المسلمون يبشّرونهم، قال كعب: جئتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد، وكان عليه السلام إذا سُرّ يستبشر، كأنّ وجهه فلقة قمر، فقال لي ووجهه يبرق من السرور: أبشر بخير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك أُمّك! قال كعب فقلت: أمن عند الله، أم من عندك يا رسول الله؟ فقال: من عند الله.

---

(١) التوبة: آية١١٧ـ١١٩.

وتصدّق كعب بثلث ماله شكراً لله على توبته[١].

حقاً إنّ «**عاقبة الصدق نجاة وسلامة**»[٢].

الثمرة الرابعة: البركة في الرزق

ذكرنا ـ في ثمرة سابقة ـ أنّ من فوائد الصدق كسب الثقة، فالإنسان الصادق يتمتّع بعلاقات اجتماعيّة جيّدة، تقوم على أساس الثقة وحفظ الأمانة، وإذا التفتنا إلى أنّ العمل التجاري الناجح يعتمد على الثقة المتبادلة بين الطرفين أو الأطراف؛ تتّضح أهمّيّة الصدق في ميدان تحصيل الرزق، فإنّ التاجر الصادق يُقبل عليه الناس، وتتحرّك تجارته وتنمو بشكل كبير، والأجير الثقة في عمله يتسابق عليه أصحاب العمل لاستئجاره، يُضاف إلى ذلك اليد الغيبيّة التي تمتدّ لمساعدة الصادق في تحصيل رزقه، وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا التاجران صدقا بُورك لهما، فإذا كذبا وخانا لم يبارك لهما، وهما بالخيار ما لم يفترقا...**»[٣]، فالبركة في هذا الحديث تُشير إلى البُعد الغيبي في زيادة الرزق ونمائه، ويمكن أن تُشير إلى البُعد المادّي الذي ذكرناه ـ فيما سبق ـ من أنّ التاجر الصادق يُقبل عليه الزبائن لوثاقته وأمانته؛ ممّا يُوجب زيادة رزقه ورواج تجارته، وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «**الوفاء والصدق يجران الرزق**»[٤].

---

(١) أُنظر: الطبرسي، داوود، مجمع البيان: ج٥، ص١١٩ـ ١٢٠.

(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص٣٣٩.

(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص١٥٤.

(٤) العجلوني، إسماعيل بن محمّد، كشف الخفاء: ج٢، ص٣٤٢.

نعم، قد يحصل التاجر الكاذب على الكثير من المال، ولكنه ليس مباركاً ـ كما يشهد به الواقع ـ فإنه نتيجة فإنه لكذبه وخداعه يرفع الله تعالى البركة من رزقه، فيُبتلى بالأمراض، أو تسلّط السرّاق أو الظلمة على ماله، فتراه ينفق أكثر مما يحصل عليه، وقد يتعرّض إلى مصيبة تُذهب بماله كلّه.

وينبغي الالتفات إلى أنّ الرزق لا يقتصر على تحصيل المال فقط، فإنّ من الرزق العلم والحكمة والعقل، فقد يزيد الله تعالى في علم الإنسان وحكمته وعقله، ومن الرزق ـ أيضاً ـ كثرة الأعوان والأصدقاء، وقلّة الأعداء.

والمهمّ فإنّ الصدق ينفع في زيادة الرزق المادّي والمعنوي.

الثمرة الخامسة: تجنّب الخطيئة

عندما يلزم الإنسان الصدقَ، فلا يسمح لنفسه بالكذب لا في القول ولا في الفعل، فإنّه حينئذٍ لا يتمكّن من فعل الخطيئة، ولا يقدر على ارتكاب المعصيّة؛ ممّا يجعل ذلك منه شخصاً صالحاً مستقيماً، فلو أراد أن يزني ـ مثلاً ـ وقصد مكان الزنا، فسُئل عن مقصده لما تمكّن أن يكذب، ولقال الصدق، وحينئذٍ سوف يسقط اجتماعيّاً، ولأنكر عليه الناس مقصده. ولو همّ بالسرقة لما تمكن أن يُخفي ذلك عن سائله؛ إذ هو لا يكذب حسب الفرض، ولو أخبر بالحقيقة لعرّض نفسه للتهمة والمسائلة، وهكذا؛ وعلى هذا الأساس لن يتمكّن من فعل الموبقات والخطيئات؛ لأنّ صدقه يمنعه من ذلك، ولا خَيار له إلّا أن يلزم جانب الاستقامة والكمال، وفي الحديث: «**أنّ رجلاً قال للنبيّ**صلى الله عليه وآله: **أنا يا رسول الله أستسرُّ بخلال أربع: الزّنا، وشرب الخمر،**

والسَّرق، والكذب، فأيّتهنّ شئتَ تركتُها لك، قال: دع الكذب، فلمّا ولّى همّ بالزنا، فقال: يسألني، فإن جحدتُ نقضتُ ما جعلت له، وإن أقررت حُددِتُ. ثمّ همّ بالسرق، ثمّ بشرب الخمر ففكّر في مثل ذلك، فرجع إليه، فقال: قد أخذت عليّ السبيل كُلَّه، فقد تركتُهُنّ أجمع»[1].

الثمرة السادسة: الذكر الحسن في الدنيا

الإنسان يعيش في الدنيا فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر، ثمّ يموت وينتقل إلى عالم الآخرة، ولكنّنا نتساءل، هل انقطع هذا الإنسان عن الدنيا بالكامل، أو بقي له شيء؟ وفي الجواب نقول: الناس بعد الموت على ثلاثة أصناف:

الأوّل: مَن يترك أعمالاً صالحة؛ مثل: المشاريع الخدميّة، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، ومثل تأليف كتاب نافع أو طباعته، ونحو ذلك من الأعمال التي تعود على صاحبها بالذكر الحسن والثواب العظيم.

الثاني: مَن يترك أعمالاً طالحة، ومساوئ وموبقات؛ مثل: أن يبني داراً للهو والطرب، أو يؤلّف كتاباً يُضلّ الناس ويحرفهم، أو يساهم في ظلم الناس والاعتداء عليهم، فإنّ هذا الإنسان سيذكره الناس بعد مماته، ولكنّهم يذكرونه ليلعنوه ويذمّوه، كما هو الحال في الكثير من عتاة الناس وجبابرتهم.

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ج٤، ص٣٣٩ـ٣٤٠.

الثالث: مَن لا يترك شيئاً يُذكر، لا سيّئاً ولا حسناً؛ وهذا الإنسان سوف يتناساه الناس بعد فترة يسيرة من وفاته؛ لأنّه لم يترك خلفه ما يستحقّ الذكر.

وبعد هذا البيان يتّضح أنّ الإنسان الصادق سيترك بعد وفاته ذكراً حسناً، فكلّما ذكره الناس ذكروا صدقه وأمانته وترحّموا عليه، فيكون بذلك بمثابة الحيّ الذي يعيش مع الناس على مرّ العصور والأزمان؛ ولذا تجد أنّ التاريخ قد حفظ لنا سيرة أولئك الصالحين الصادقين، ولا زال الناس يذكرون مواقفهم، ويتناقلون قصصهم من جيل إلى جيل.

ولأهمّيّة الذكر الحسن طلب إبراهيم النبيّ عليه السلام، من الله تعالى أن يجعل له ذكراً حسناً في الأُمم اللاحقة، قال تعالى عن لسانه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1]، فالمقصود من لسان الصدق: الثناء الحَسَن في آخر الأُمم، والذكر الجميل، والقبول العامّ في الذين يأتون من بعده[2].

وهناك حديث يُشير إلى معنىً لطيفٍ في هذا المجال، حيث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**ألا وإنّ اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس، خيرٌ من المال يُورِثه مَن لا يَحمده**»[3]، فإنّ المراد من اللسان الصالح الذكر الجميل الذي يتركه المرء في الناس، ومنه صفة الصدق التي يُعرف بها، فإنّ الذكر الطيّب خير له من تركه للمال؛ لأنّ الناس تمدح صاحب الذكر الحسن وتذكره بخير،

---

(١) الشعراء: آية٨٤.

(٢) أُنظر: الطبرسي، داوود، مجمع البيان: ج٧، ص٣٣٤.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، (تحقيق: صبحي الصالح): ص١٧٧.

ويتذكّرون أقواله وكلماته ومواقفه، فيثنون عليه، ويترحّمون له، بينما المال يتركه للورثة، وهم لا همّ لهم إلّا المال وكيف يقسمونه بينهم، وقد لا يحمدون المرء على ما تركه لهم من أموال، فيشتغلون بما تركه من مال، وينسون ذكره ومدحه.

هذه بعض ثمرات الصدق في الدنيا، وهناك المزيد يمكن الالتفات إليها عند التأمّل والتفكّر.

البحث الثاني

الآثار الأُخرويّة

من حسنات صفة الصدق أنّ آثارها وفوائدها لا تقتصر على الدنيا، فهناك فوائد وثمرات يجدها الصادق في الآخرة، قد أخبر بها الكتاب العزيز؛ وهي عديدة، نذكر منها التالي:

الجزاء الأوّل: نِعَمُ الجنّة ورضوان الله

ممّا جعله الله تعالى للصادقين يوم القيامة نِعَم الجنّة المتنوّعة؛ من أنهارٍ، وأزواجٍ، ومنازل، ونحوها من النِعم المادّيّة التي تفوق الوصف والخيال، والأهمّ من ذلك هي النعمة المعنويّة التي يحصل عليها الصادق؛ وهي رضا الله تعالى، فإنّها من أجلّ النعم وأهمّها؛ فإنّ شعور العبد برضا سيّده عنه يُكسبه راحة تجعله يعيش المتعة واللذّة في كلّ شيء، ولو في أبسط الأشياء، بخلاف الشعور بغضبه وعدم رضاه؛ فإنّه لا يهنأ له بال، ولا يجد طعم اللذّة والحلاوة ولو كان عنده شتّى أنواع النِعم وألذّها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[1].

والصادقون في الآية هم الذين استحقّوا كلّ هذه النعم، ليسوا فقط الذين صدقوا بأقوالهم، بل المقصود الذين صدقوا في كلّ شيء؛ فهم صادقون في أفعالهم، وفي عزيمتهم، وفي عهودهم، وفي سرّهم وعلانيتهم، قال الطبري في تفسيره: «**الصادقين: قوم صدقت أفواههم، واستقامت قلوبهم وألسنتهم، وصدقوا في السر والعلانية**»[2].

والجزاء الذي تتحدّث عنه الآية ـ كما قلنا ـ مادّيٌّ ومعنويٌّ، أمّا المادّيّ فهو أمران: جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وأزواج مطهرّة؛ والجنّات هي البساتين المليئة بالأشجار المختلفة والمتنوّعة، والأنهار التي تجري من تحتها هي التي تنبع منها أو تمرّ فيها بين أشجارها ومنازلها، أو تمرّ من تحتها كما لو كانت الأرض زجاجاً بحيث يرى الناظر الماء يجري من تحته وأسفله[3]، ولعلّ هناك معنى آخر لا يعلمه إلّا الله سبحانه، ولكن من الواضح ـ عندنا ـ أنّ أجمل ما في الطبيعة هو هذا المنظر الجميل والرائع؛ حيث الأشجار الكثيفة المليئة بأنواع الثمر، والمياه التي تحيطها وتمرّ من خلالها، وهي في وقتنا الحاضر

---

(١) آل عمران: آية١٥ـ ١٧.

(٢) الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج٣، ص٢٨٢.

(٣) أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٦، ص٣١٠.

تُعدّ من أهمّ الأماكن السياحيّة التي يرتادها الكثير من السوّاح لقضاء بعض الوقت؛ فإنّها تعود عليهم براحة البال والنفس والاطمئنان والسكينة؛ وهذا كلّه ممّا نشاهده ونحسّه في عالم الدنيا، أمّا في عالم الآخرة فلا بدّ أن يكون شيئاً يفوق الوصف والخيال، ومن اللافت أنّ الإنسان الصادق في الآخرة لا يدخل إلى هذه الجنان لفترة من الزمن كما هو حال الإنسان في الدنيا، وإنّما يعيش فيها خالداً لا يفنى ولا يموت، وإلى جانب هذه الجنان هناك الأزواج المطهّرة، التي لا يعتريها ما يعتري نساء الدنيا من الحيض ونحوه، بل هي في طهر دائم ونظافة مستمرّة[1]؛ وهذا كلّه في الجزاء المادّي وأمّا الجزاء المعنوي فهو رضوان الله تعالى؛ الذي هو الغاية القصوى والهدف الأسمى.

وممّا يؤكّد هذا الجزاء قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2]، فإنّ الآيتين السابقتين تحدثتا عن الجنّات والأزواج ورضوان الله تعالى؛ بينما في هذه الآية جعلت الجزاء هو الجنّات ورضا الله عن الصادقين، ورضا الصادقين عنه؛ وقد عدّت هذا الرضا المتبادل هو الفوز العظيم.

ولا بدّ أن نتوقّف قليلاً عند نقطتين مهمّتين:

الأُولى: ما معنى قوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾؟

---

(١) أُنظر: الطبرسي، داوود، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٢، ص٢٥٤.
(٢) المائدة: آية١١٩.

والثانية: ما معنى الرضا المتبادل بين الله تعالى وبين الصادقين؟

أمّا النقطة الأُولى: فهناك عدّة احتمالات تُذكر في تفسير هذا المعنى؛ منها:

١ـ إنّ هذه الآية تتحدّث عن مواقف يوم القيامة؛ فهناك يُسأل الإنسان عن أعماله في الدنيا، فإذا أخبرهم الحقيقة وصدق في ذلك؛ نفعه صدقه يوم القيامة[١]، ولعلّ المقصود من النفع أنّ الله سبحانه سيغفر له، ويتوب عليه.

وهذا المعنى وإن ذكره بعض المفسّرين لكنّه بعيد جدّاً عن معنى الآية؛ لأنّ هذا المعنى لا يتناسب مع التعبير بـ(الصادقين)؛ لأنّه يُشير إلى مجموعة تتّصف مسبقاً بالصدق، وكان المناسب أن تُعبّر بـ(الناس) أو (العبيد) أو نحو ذلك، فتكون الآية: هذا يوم ينفع الناس صدقهم، كما أنّ المناسب التعبير بالإقرار بدل الصدق، كما أنّ ذيل الآية لا يُساعد على هذا المعنى؛ إذ لو كان المقصود ذلك لكان ذيلها يُشير إلى المغفرة والتوبة، بدل أن يذكر الجنان ورضا الله تعالى، وفي النهاية هذا التفسير بعيد جدّاً.

٢ـ أن يكون المقصود: أنّ هذا اليوم ـ وهو يوم القيامة ـ ينفع الصادقين في الدنيا، صدقهم في الآخرة[٢]، فالإنسان الذي صدق في الدنيا في عقيدته وفعله ولسانه، سوف ينتفع بصدقه يوم القيامة، فإنّه عندما يقف بين يدي الله تعالى ويُسأل عن أعماله وأقواله في الدنيا، فإنه سيُجيب بصدق فينتفع بهذا

---

(١) أُنظر: الطبرسي، داوود، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٣، ص٤٦٢.

(٢) أُنظر: الإسكندري المالكي، أحمد بن محمّد، الإنصاف فيما تضمّنه الكشّاف: ج١، ص٦٥٩.

الصدق، وهذا بخلاف الكذّاب المخادع، فإنّه لو صدق في الآخرة لا ينتفع بصدقه؛ لأنّه وقتئذٍ سيعترف بأكاذيبه ومعاصيه، فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1]، وممّا يؤيّد هذا التفسير سياق الآيات التي جاءت الآية في ضمنها، فإنّ الحديث كان عن نبيّ الله عيسى عليه السلام، عندما سأله ربُّ العزّة: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[2]، فأجاب عيسى عليه السلام: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[3]، فالصدق الذي أخبر به عيسى عليه السلام نفعه يوم القيامة؛ لأنّه كان صادقاً في الدنيا، فالله سبحانه وتعالى سوف يسأل الناس جميعاً عن أعمالهم في الدنيا، فيسأل الصادق كما يسأل غيره، قال تعالى: ﴿ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[4]، ولكنّ الصادق في الدنيا ينفعه صدقه في الآخرة، بينما غيره لا ينتفع بصدقه في الآخرة، بل على العكس سوف يضرّه؛ لأنّه سيفضح نفسه بين يدي الله تعالى، وأمام أهل المحشر؛ ولهذا سيحاول أن يخفي ما يود إخفاءه قدر المستطاع، فيعمد إلى الكذب

---

(١) الملك: آية١١.

(٢) المائدة: آية١٦.

(٣) المائدة: آية١٦ ـ ١٧.

(٤) الأحزاب: آية٨.

والمراوغة، ولكنّه في النهاية سيقول الحقيقة، ويأخذ جزاءه؛ والخلاصة: الناس يوم القيامة صنفان؛ الأوّل: مَن صدق في دنياه؛ وهذا سينتفع من صدقه يوم القيامة. والثاني: مَن كذب في دنياه، وهذا لا ينتفع من قوله الحقيقة يوم القيامة؛ لأنّها ستكون وبالٌ عليه[1].

وأمّا النقطة الثانية؛ فمعنى: ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ أنّ الله سبحانه قد رضي عن المؤمنين الصادقين المخلصين له في القول والعمل، وقد أجزل لهم الثواب، وأعطاهم ما يرضيهم، فرضوا عنه.

والجدير بالالتفات إلى أهميّة هذا الرضا المتبادل؛ فإنّ العبد لو كان يشعر بسخط سيّده عليه فإنّه لن يذوق طعم الراحة والطمأنينة، مهما توفّرت لديه النعم، فإنّ السعادة الحقيقية تكمن في رضا السيّد عنه، ولو شعر برضا سيّده فإنّه يعيش في غاية السعادة ولو لم تتوفّر له أنواع النعم، وكذلك شعور العبد بالرضا، فإنّه من أسباب السعادة الحقيقيّة، ورضا العبد لا يكتمل إلّا باجتماع النعم الماديّة؛ وهي جنان الخلد، والنعم المعنويّة وهي رضا الله تعالى، ولهذا جُعل في النهاية رضا العبد، وبهذا الرضا المتبادل يتحقّق الفوز العظيم.

الجزاء الثاني: المغفرة والأجر العظيم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ

---

(١) وهناك احتمالات وآراء أُخرى يمكن مراجعتها في كتب التفسير؛ أُنظر مثلاً: الطبرسي، داوود، مجمع البيان: ج٣، ص٤٦٢.

وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]، وقدّ أعدّ الله تعالى لهؤلاء المؤمنين الصادقين جزاءً كريماً؛ وهو المغفرة والأجر العظيم، والمقصود من الأجر العظيم: هو الذي لا يوازيه شيء[2].

والجزاء المذكور وإن لم يكن خاصّاً بالمتّصفين بالصدق، ولكنّه ثابت لَمن اشتملوا على أوصافٍ خاصّة من جملتها الصدق.

والخلاصة: هذه بعض الجزاءات التي يحصل عليها الصادق يوم القيامة، ويتمتّع بها في عالم الآخرة، وحتماً سيجد الصادق عند الله تعالى المزيد؛ لأنّ عطاءه لا ينفد، وكرمه لا حدود له.

---

(١) الأحزاب: آية٣٥.

(٢) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨، ص٣٤٢.

الفصل الخامس

مستثنيات الصدق

الفصل الخامس: مستثنيات الصدق

على الرغم من أهمّيّة الصدق وضرورته ـ التي لا يشكّ فيها أحد ـ فقد تُحتّم الضرورة أحياناً وفي بعض الحالات أن يتجنّب الإنسان الصدق؛ وذلك فيما لو ترتّبت عليه مفاسد وأضرار خطيرة قد تُودي بحياة صاحبه أو آخرين، أو يؤدّي إلى تهديم الأُسرة وتمزيقها، والتي يحرص الإسلام ـ أيّما حرص ـ على بقائها واستقرارها، أو تترتّب عليه مشاكل وسلبيّات تُذهب بفائدة الصدق؛ فإنّ من الواضح أنّ وجوب الصدق وضرورته إنّما تنشأ من فوائده وآثاره الإيجابيّة، فإذا ما تحوّل إلى وسيلة للخراب والهلاك فإنه سيفقد هويّته؛ ولهذا ذكرت الروايات والأحاديث بعض الحالات التي يُعدّ فيها الصدق خطيئة لا تُغتفر، نستعرضها فيما يلي ضمن العناوين التالية:

الأوّل: في حالات التضرّر والتقيّة

إذا وجد الشخص أنّ الصدق سيؤدّي به أو بغيره من المؤمنين إلى القتل أو الضرر البليغ، ولم يتمكّن من أن يدفع ذلك بأيّ شكل من الإشكال، وتوقّف الأمر على إخفاء الحقيقة؛ يلزمه حينئذٍ أن يتجنّب الصدق، ويُخبر ولو على خلافها دفعاً لهذا الضرر، وفي الحديث «**عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال الصادق**عليه السلام: **أيّما مسلم سُئل عن مسلم فصدق، فأدخل على ذلك المسلم مضرّة كُتب من الكاذبين، ومَن سُئل عن مسلم فكذب فأدخل على ذلك المسلم**

منفعة؛ كُتب عند الله من الصادقين»[١]، ومن الطبيعي أنّ مقصود الحديث أنّ الظالم هو مَن سأل عن المسلم ليضرّه، وليس المقصود كلّ مَن يسأل عن مسلمٍ، فإنّ هناك مَن يقصد زيارته،، أو لعلّ لديه حقّ عنده، والمهمّ أن لا يؤدّي إخبار الحقيقة إلى إيذاء مسلمٍ، ولو قال الصدق وتأذّى بذلك مسلم سوف يحاسبه الله تعالى حساب الكذّاب، ويَعدّه في زمرتهم، والعكس كذلك، فمن كذب لينقذ مسلماً كُتب عند الله من الصادقين.

الثاني: صيانة الأُسرة

قد أولى الإسلام الأُسرة أهمّيّة خاصّة، وحرص على حفظها وصيانتها؛ فلذلك شرّع لها نظاماً وجعل لها أُسساً وقوانين؛ فأوجب على الزوج حقوقاً تجاه زوجته، وأوجب على الزوجة حقوقاً تجاه زوجها، وأوجب على الأبّ والأُمّ حقوقاً تجاه أولادهما، وكذلك أوجب على الأولاد تجاه الأبوين حقوقاً؛ كلّ ذلك لحفظها وصونها عن التفكّك والانهيار، وإلى جانب ذلك يحرص الإسلام على منع أيّ سلوك أو تصرّف من شأنه أن يُفسد كيان الأُسرة؛ فهو يمنع الزوجة من الخروج من بيتها بدون إذن الزوج، ويُلزم الزوج بالإنفاق وتوفير سُبُل العيش الكريمة؛ لأنّ عدم توفير ذلك يؤدّي إلى تفكّك الأُسرة وانهيارها، ويَعتبر سلوك الأولاد السلبي تجاه الأبوين عقوقاً وتمرّداً، ويَعتبر الطلاق غير المُبرّر مكروهاً ومبغوضاً، ومن هنا فكلّ ما يُعكّر صفو الأُسرة، ويفكّ عُراها يُعدّ أمراً ممنوعاً، لا سيّما ما يرتبط بالجانب النفسي والعاطفي، فإنّ

---

(١) المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الاختصاص: ص٢٢٤.

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1]، فهناك علاقة عاطفيّة خاصّة بين الزوج والزوجة، ومع التأمّل في مفردات الآية الكريم يتّضح عمق هذه العلاقة، فالزوجة خلقها الله من (أنفسكم)؛ فلذا هي أقرب إنسان إلى زوجها، ولهذا يسكن إليها ويطمئن؛ لأنّ العلاقة بينهما قائمة على أساس (المودّة والرحمة)، ففي خِضمّ هذه الأجواء الروحيّة، وهذا القرب النفسي الفريد، وهذه المودّة التي تشدّهما إلى بعض، كيف لنا أن نتصوّر الحال فيما لو جاء شخص ثالث ليهمس في أُذن الزوج: أنّ زوجتك تُواعد شخصاً آخر، أو تخرج من بيتك بدون علمك وتذهب إلى مكان مجهول، أو غير ذلك من الكلام الذي يُحرّك الغيرة؟! هل لك أن تتصوّر حال هذا الرجل المسكين؟ إنّ هذا الذي يرى نفسه أنه الصادق الأمين! قد حوّل حياة هذا الرجل إلى جحيم، ونعمته إلى نقمة، وبدّل سعادته إلى شقاء.

ولهذا كان من جملة ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام: «**ثلاث يقبح فيهنّ الصدق: النميمة، وإخبارك الرجل عن أهله بما يكره، وتكذيبك الرجل عن الخبر**»[2].

وليس المقصود من عدم إخبار الرجل بما يكره هو تركه في غفلته، أو ترك المرأة في ضلالها وخطئها، لا، ليس الأمر كذلك، بل لا بدّ من سلوك

---

(١) الروم: آية٢١.

(٢) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، الخصال: ص٨٧.

طُرُقٍ أُخرى لإصلاح الأمر، وإنقاذ هذه الأُسرة من النهاية المأساويّة، فيمكن تنبيه الرجل على ضرورة حفظ أهله وصيانتهم بطريقة لا تُثير عنده الشكوك والمخاوف، أو تقديم النصح لأهله دون علمه، بأيّ وسيلةٍ ممكنة، أو ما شاكل ذلك من الأساليب التي يمكن أن تُعالج الموقف، تجنّباً عن مصارحته وإخباره الحقيقة، والمهمّ هو أنّ الصدق في هذا الموطن ليس صحيحاً؛ لأنّ نتائجه ستقضي على أُسرة كاملة وتمزّقها.

بل الأمر أكثر من ذلك، فلو انتهى إلى مسامع الرجل خبرٌ صحيحٌ عن أهله لا ينبغي أن يعلمه، ففي مثل هذه الحالة ينبغي عدم تصديق الخبر، وعدم تأكيده له، بل ينبغي تكذيبه ونفيه، وهذا ما يُشير إليه ذيل الحديث المتقدّم، حيث قال صلى الله عليه وآله: «**وتكذيبك الرجل عن الخبر**»؛ أي: الخبر الذي يُراد به تهديم الأُسرة، أو تمزيق العلاقات الاجتماعيّة، يلزم تكذيبه ولو كان صحيحاً؛ لأنّ تصديقه يُؤدّي إلى انهيار الأُسرة والمجتمع.

الثالث: حماية العلاقات الاجتماعيّة

تماسك المجتمع الإسلامي، وتقوية اللحمة والعلاقة بين أبنائه من أهمّ أهداف الإسلام وأولويّاته، قال تعالى: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ** ﴾[1]، وفي الحديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، يصف فيه المؤمنين: «مثل

---

(١) آل عمران: آية١٠٣.

المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه شيء؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[١]. ويؤكّد الإسلام على ضرورة المبادرة إلى رأب الصدع فيما لو تعرّضت العلاقات الاجتماعيّة بين المؤمنين إلى التصدّع والتوتّر، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢]، ومن أجل الحفاظ على اللحمة الاجتماعيّة في المجتمع الإسلامي، وصيانة تماسكه وعلاقاته؛ حرّم الإسلام كلّ ما من شأنه أن يؤثّر على هذه العلاقة، ويفكّ عُراها؛ فقد حرّم الغيبة والنميمة والبهتان والسباب والشتم والتنابز بالألقاب، ونحوها من الأقوال والسلوكيّات التي تهدّد الوحدة الاجتماعيّة، والعلاقات الطيّبة بين أبنائه.

ومتطلّبات المحافظة على الأُخوّة تفرض ـ أحياناً ـ أن نُخفي الحقيقة عن الطرفين المتخاصمين، بل تقتضي ـ أحياناً ـ أن نُخبر بخلاف الواقع، ونُنكر ما هو صحيح؛ كلّ ذلك من أجل ترطيب الأجواء بين الطرفين، وقد قرأنا في الحديث المتقدّم: «**ثلاث يقبح فيهنّ الصدق: النميمة، وإخبارك الرجل عن أهله بما يكره، وتكذيبك الرجل عن الخبر**»، فالنميمة ـ وهي نقل الحديث من قوم إلى قوم، على جهة الإفساد والشرّ[٣] ـ ممّا لا ينبغي فيها الصدق؛ لأنّ الصدق فيها يعني إيقاع الشرّ بين الطرفين وزرع الفرقة؛ وهو ممّا يتنافى مع ما يدعو إليه الإسلام من زرع الأُلفة والمحبّة بين الناس، ولو لاحظنا ذيل

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٤، ص٢٧٠.

(٢) الحجرات: آية١٠.

(٣) ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٥، ص١٢٠.

الحديث؛ لتبيّن لنا أنّه ينبغي تكذيب الخبر الصحيح إذا كان يستوجب الشِقاق والخُصومة بما يشمل مثل خبر النمّام، فقد جاء فيه: «**وتكذيبك الرجل عن الخبر**»، فلو انتهى إلى مسامع أحد الطرفين كلامٌ يزيد من المسافة بينه وبين خصيمه، ما كان ينبغي تصديق هذا الكلام وإن كان صدقاً، بل الراجح تكذيبه وإنكاره، فنقول للشخص: هذا الكلام لم يصدر من فلان، والذي جاءك بالخبر يكذب عليك، بل قد قال فلان فيك كلّ الخير.

وقد حذّر النبيّ الأكرمﷺ، وأهل البيتعليهم السلام كثيراً من النميمة؛ لِما فيها من تمزيقٍ للأُلفة والمحبّة، ولِما تُوجبه من أحقاد وضغائن، فعن أمير المؤمنينعليه السلام: «**إياكم والنمائم فإنّها تُورث الضغائن**»[1]، وفي حديثٍ للنبيّ الأكرمﷺ يصف فيه عذاب المرأة النمّامة، حيث رآها في ليلة المعراج في جملة ما رأى «**وأمّا التي كان رأسها رأس الخنزير وبدنها بدن الحمار؛ فإنّها كانت نمّامة كذّابة**»[2]، والروايات في هذا المجال كثيرة يمكن مراجعتها في محلّها[3].

---

(١) الكراجكي، أبو الفتح، محمّد بن علي، كنز الفوائد: ص١٨٦.

(٢) الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢، ص١٤.

(٣) راجع: كتاب وسائل الشيعة، للحرّ العاملي: ج١٢، ص٣٠٦، ب١٦٤، من أبواب أحكام العشرة.

الخاتمة

انتهت فصول الكتاب، إلّا أنّ الحديث عن الصدق لا يقف عند هذه الصفحات، ولا ينتهي عند هذه الكلمات؛ لأنّ الحديث فيه حديث عن فضيلة جامعة، هي أساس الفضائل ورأسها؛ إذ لا فضيلة بدون صدق، ولا عقيدة ولا عمل بدونه، ولكنّنا حاولنا في هذا الكتاب أن نُلفت نظر القارئ الكريم إلى بعض الأُمور المهمّة، والتي نعتقد أنّها ضروريّة.

فقد أشرنا إلى معنى الصدق وحدوده، ومتى يكون الكلام أو الفعل صادقاً، ومتى لا يكون؛ وبهذا يتسّنى لنا تجنّب الكذب والابتعاد عنه.

وأشرنا إلى حديث القرآن الكريم والسنّة المطهّرة عن الصدق، وذكرنا نماذج من الآيات والروايات الدالّة على فضيلته وأهمّيّته وضرورته.

وأشرنا ـ أيضاً ـ إلى صفات الصادقين المهمّة التي تحدّث عنها القرآن الكريم، وعرفنا أنّ تلك الصفات متى ما اجتمعت في شخص دخل في عنوان الصادقين؛ ذلك العنوان العام الذي تناولته الآيات الكريمة، ومدحت أهله وأثنت عليهم.

ثمّ أشرنا إلى أنّ القرآن الكريم قد أطلق لفظ (الصادقين) على خصوص مجموعة؛ دعانا لاتّباعها والاقتداء بها، وقد اتّضح أنّهم أهل البيت عليهم السلام.

ثمّ إنّ القرآن الكريم قد وصف أقواماً بالصدّيقين، وتبيّن لنا أنّ هذا الوصف تارةً يكون عامّاً يشمل كلّ مَن يتمتّع ببعض الصفات التي أشرنا إليها، وتارة أُخرى يكون خاصّاً لا يكون إلّا في جماعة معيّنة.

وأشرنا ـ أيضاً ـ إلى مجالاته وأنواعه وميادينه وتطبيقاته، وأنّه لا يقتصر على اللسان، بل يشمل العمل والنيّة والعزيمة، وغير ذلك من مجالاته المختلفة، وأنّ ميادينه لا تقتصر على النفس ومع الله فحسب، بل تشمل الأُسرة والأصدقاء والعمل، وكلّ الميادين التي يتواجد فيها الإنسان، ويتعامل فيها مع الآخرين.

ولأنّ بناء الذات وتنميتها تدخل في أولويّات الشريعة؛ تحدّثنا عن دور الصدق في التنمية البشريّة ومساهمته في بناء الشخصيّة القويّة المطلوبة، وذكرنا عدّة خطوات هامّة في هذا المجال.

وعلى الرغم من كثرة فوائد الصدق ووضوحها توقّفنا عند بعضها، ولاحظنا أنّها لا تقتصر على الدنيا، بل تشمل الآخرة أيضاً، وأنّ الصادق يعلو قدره في الدنيا والآخرة.

ولمّا كان الصدق فضيلة تبعاً لنتائجه وآثاره، فمتى ما كانت تلك النتائج والآثار في صالح الإنسان؛ كان الصدق فضيلة، ومتى ما كانت ليست في صالحه وترتّبت عليه بسبب الصدق آثار خطيرة، وعواقب وخيمة؛ لم يكن الصدق شيئاً نافعاً؛ لذا توقّفنا قليلاً عند بعض الحالات والموارد التي يلزم فيها أن نتنازل عن الصدق للصالح العام، وقد استعرضنا بعض الروايات في هذا المجال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مصادر الكتاب

❋ القرآن الكريم.

❋ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ما أختاره وجمعه: الشريف الرضي، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ط: ١.

١. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمّد الطناحي، مؤسّسة إسماعيليّان للطباعة والنشر والتوزيع، قم ـ إيران، ١٣٦٤هـ ش، ط: ٤.

٢. ابن بابويه القمّي، علي بن الحسين، الإمامة والتبصرة، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ـ إيران.

٣. ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م.

٤. ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، إقبال الأعمال، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، رجب ١٤١٤هـ، ط: ١.

٥. ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، فلاح السائل.

٦. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى، قم ـ إيران، ١٤١٧هـ، ط: ١.

٧. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، ١٤٠٤هـ.

٨. ابن ميثم البحراني، ميثم بن علي بن ميثم، شرح نهج البلاغة، عني بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقُوبل بعدّة نسخ موثوق بها، مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلميّة، قم ـ إيران، ١٣٦٢هـ ش، ط: ١.

٩. ابن نما الحلّي، محمّد بن جعفر، مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

١٠. الأحمدي الميانجي، علي، مواقف الشيعة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، رجب ١٤١٦هـ، ط:١.

١١. الإسكندري المالكي، أحمد بن محمّد بن المنير، الإنصاف فيما تضمّنه الكشّاف من الاعتزال، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م.

١٢. الأهوازي، ابن السكّيت، إصلاح المنطق، ترتيب وتقديم وتعليق: الشيخ محمّد حسن بكائي، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد ـ إيران، ١٤١٢هـ، ط:١.

١٣. البخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٤. البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: السيّد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلاميّة، طهران ـ إيران، ١٣٧٠هـ ـ ١٣٣٠هـ ش.

١٥. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وثّق أُصوله وخرّج حديثه وعلّق عليه: الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ط: ١.

١٦. التنوخي، المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبّود الشالجي المحامي، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٧. الثعلبي، أحمد بن محمّد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأُستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، ط: ١.

١٨. الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، عجائب الآثار، دار الجيل، بيروت ـ لبنان.

١٩. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ط: ٤.

٢٠. الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، ١٤١٤هـ، ط: ٢.

٢١. الحسكاني، عبيد الله بن أحمد، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، ط: ١.

٢٢. الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، تحقيق ونشر: مؤسّسة آلِ البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، ١٤١٣هـ، ط: ١.

٢٣. الحنبلي، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٢٤. الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان، سِيَر أعلام النبلاء، إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسين الأسد، مؤسّسة الرسالة، بيروت ـ لبنان ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ط: ٩.

٢٥. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ط: ٣.

٢٦. راضي، ياسر بن إسماعيل، مباحث الصدق في القرآن الكريم، مجلّة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانيّة، السنة الخامسة، العدد ٩، ١٤٣٧هـ.

٢٧. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، ١٤٢٧هـ، ط: ٢.

٢٨. الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام، بإشراف السيّد محمّد باقر الموحّد الأبطحي، مؤسّسة الإمام المهدي، قم ـ إيران، ذو الحجّة ١٤٠٩هـ.

٢٩. الري شهري، محمّد، ميزان الحكمة، تحقيق: غلام حسين المجيدي، دار الحديث، ط: ٣.

٣٠. الزبيدي الحسيني، السيّد محمّد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٣١. الزرندي المدني، محمّد بن يوسف بن الحسن، نظم درر السمطين، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م، ط: ١.

٣٢. الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ط: ١.

٣٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ط: ١.

٣٤. الشافعي، محمّد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطيّة.

٣٥. الصدوق، أبو جعفر، محمّد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق وتعليق: علي أكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، محرّم الحرام ١٤٠٥هـ ـ مهر ١٣٦٣هـ ش.

٣٦. الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين، الأمالي، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، ١٤٢٧هـ، ط:١.

٣٧. الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا عليه السلام، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه: العلّامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٨. الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه القمّي، التوحيد، تحقيق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران.

٣٩. الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه القمّي، معاني الأخبار، تصحيح: علي أكبر غفاري، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، ١٣٧٩هـ.

٤٠. الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، ذو القعدة ١٤٠٣هـ ـ ١٣٦٢هـ ش.

٤١. الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال، تحقيق وتقديم: السيّد محمّد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٨هـ ش، ط: ٢.

٤٢. الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، علل الشرائع، تقديم: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

٤٣. الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، مَن لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، ط: ٢.

٤٤. الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران.

٤٥. الطبراني، أبو القاسم بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي.

٤٦. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: السيّد محمّد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٤٧. الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، ط: ٦.

٤٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ط: ١.

٤٩. الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلّاء، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ط: ٤.

٥٠. الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م.

٥١. الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع دار الثقافة، ١٤١٤هـ، ط: ١.

٥٢. الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، رمضان المبارك ١٤٠٩هـ، ط: ١.

٥٣. الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة، طهران ـ إيران، ١٣٦٤ش، ط: ٣.

٥٤. الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ط: ١.

٥٥. الطيالسي، سليمان بن داوود بن الجارود، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٥٦. العجلوني الجراحي، إسماعيل بن محمّد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ط: ٣.

٥٧. العيني، عمدة القاري في شرح البخاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٥٨. الغازي، داوود بن سليمان، مسند الرضا عليه السلام، تحقيق: محمّد جواد الحسيني الجلالي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨هـ، ط: ١.

٥٩. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٩هـ، ط: ٢.

٦٠. القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجّاج بن مسلم، الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

٦١. القضاعي، القاضي أبي عبدالله محمّد بن سلامة، مسند الشهاب، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ط: ١.

٦٢. الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران ـ إيران، ١٣٦٣هـ ش، ط: ٥.

٦٣. اللجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، إشراف: جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، ١٤١٨هـ، ط: ١.

٦٤. الليثي الواسطي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، ط: ١.

٦٥. المازندراني، محمّد صالح، شرح أُصول الكافي، مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيّد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ط: ١.

٦٦. المجلسي، محمّد تقي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، قدّم له: السيّد مرتضى العسكري، إخراج ومقابلة وتصحيح: السيّد هاشم الرسولي، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤هـ ـ ١٣٦٣ش، ط: ٢.

٦٧. المحب الطبري، أحمد بن عبد الله بن محمّد، الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان.

٦٨. المغازي، محمّد بن عمر بن واقد، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، نشر دانش إسلامي، رمضان ١٤٠٥هـ.

٦٩. مغنية، محمّد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، آذار ١٩٨١م، ط: ٣.

٧٠. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيّد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ط: ٢.

٧١. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الأمالي، تحقيق الحسين أستاد ولي، علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم، قم ـ إيران.

٧٢. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم ـ إيران، ط: ١.

٧٣. النراقي، محمّد مهدي، جامع السعادات، تحقيق وتعليق: السيّد محمّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمّد رضا المظفّر، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ـ العراق.

٧٤. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت ـ لبنان، ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م، ط: ١.

٧٥. النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ط: ١.

٧٦. النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٧٧. النيسابوري، علي بن أحمد، أسباب النزول، مؤسّسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

مصادر على شبكة الإنترنيت

❖ تحسين الذات وعلاقته بالثقة بالنفس: https://mattn.com.sa/blog .

محتويات الكتاب

كلمة المؤسّسة ٧
(مؤسّسة الخُلق العظيم) ودوافع تأسيسها ٨
رؤية المؤسسة ٩
أوّلاً: الله تعالى بصفاته الكماليّة والجماليّة ٩
ثانياً: النظام الأخلاقي ١٠
ثالثاً: الإنسان ١١
أهداف المؤسّسة ١٢
مشاريع المؤسّسة ١٤
تمهيد ١٩
ما معنى الصدق؟ ٢١
الصدق في اللغة ٢٢
الصدق في الاصطلاح ٢٤

الفصل الأوّل

الصدق في الكتاب والسنّة

البحث الأوّل: الصدق في القرآن ٣٣
الصدق ... صفات وعلامات ٣٣

الصدّيقون والصادقون ٤٠

الصدّيقون ٤٠

الصادقون ٤٨

البحث الثاني: الصدق في السنّة ٥٧

الفصل الثاني

الصدق ... مجالات وميادين

مجالات الصدق وأنواعه ٧٥

١ـ صدق الحديث ٧٥

٢ـ صدق الوعد ٧٨

٣ـ صدق النيّة والإرادة ٨٠

٤ـ صدق العزيمة ٨٢

٥ـ صدق الإيمان ٨٦

٦ـ صدق الأفعال ٩١

ميادين الصدق ٩٥

١ـ الصدق مع النفس ٩٥

٢ـ الصدق مع الله ١٠٢

أـ الصدق في الإيمان وسلامة الاعتقاد ١٠٣

ب ـ الصدق في النوايا، (التقوى في السرّ والعلانية) ١٠٧

ج ـ الصدق في الوعد والعهد واليمين والنذر ١٠٨
د ـ الصدق في تطبيق الشريعة ١١٠
هـ ـ الصدق مع النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى عليهم السلام ١١٣
٣ـ الصدق مع الناس ١٢٠
الدائرة الأُولى: الصدق مع الأُسرة ١٢١
الدائرة الثانية: الصدق مع الأصدقاء ١٢٣
الدائرة الثالثة: الصدق في العمل ١٢٦
الدائرة الرابعة: الصدق مع المجتمع ١٣٠

الفصل الثالث

دور الصدق في تنمية الذات وبناء الشخصيّة

هل تقبل الذات التطوّر والنموّ؟ ١٣٨
مفهوم تطوير الذات ١٣٨
مساهمة الصدق في البناء والتنمية ١٤٠
خطوات تطوير مهارة الصدق ١٤٥

الفصل الرابع

الصدق ... آثار وثمرات

البحث الأوّل: الآثار الدنيويّة ١٥٣
الثمرة الأُولى: الاستقرار النفسي ١٥٤

الثمرة الثانية: نيل ثقة الآخرين ١٥٥
الثمرة الثالثة: النجاة في المواقف ١٥٦
الثمرة الرابعة: البركة في الرزق ١٦٠
الثمرة الخامسة: تجنّب الخطيئة ١٦١
الثمرة السادسة: الذكر الحسن في الدنيا ١٦٢
البحث الثاني: الآثار الأُخرويّة ١٦٥
الجزاء الأوّل: نِعَمُ الجنّة ورضوان الله ١٦٥
الجزاء الثاني: المغفرة والأجر العظيم ١٧٠

الفصل الخامس

مستثنيات الصدق

الأوّل: في حالات التضرّر والتقيّة ١٧٥
الثاني: صيانة الأُسرة ١٧٦
الثالث: حماية العلاقات الاجتماعيّة ١٧٨
الخاتمة ١٨١
مصادر الكتاب ١٨٣
مصادر على شبكة الإنترنيت ١٩٣
محتويات الكتاب ١٩٥